تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الأول

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب] .

وبعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالة في النَّار .

أما بعد :

فإن أحق ما صُرفت إلى علمه العناية ، وبلغت في معرفته الغاية ما كان للّه في العلم به رضًى ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدًى ، وإنَّ أجمع ذلك لباغيه هو كتاب الله الذي لا ريب فيه ، وتنزيله الذي لا مِرية فيه ، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن تمام جزيل نعم الله علينا أن تكفل الله بحفظ كتابه الكريم فقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ . [الحجر : ٩] .

وأن يسر درسه وفهمه فقال عز اسمه : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر آية : ١٧] .

وإن من أعظم وسائل حفظه ، وتيسير درسه وفهمه أن يعنى العلماء قديمًا وحديثًا بتفسيره وإيضاح معانيه ، وكشف أسراره وبيان أحكامه .

ومن هؤلاء العلماء الذين سخروا أنفسهم لخدمة كتاب ربهم ، شيخ الإسلام ، وقدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير – رحمه اللَّه تعالى – الذي انتهت إليه رياسة العلم في الحديث والتفسير والتاريخ ، وكتبه التي بين أيدينا شاهدة له بذلك ، وحسبك منها ما نحن بصدده ، وهو كتابه : « تفسير القرآن العظيم » الذي قال عنه السيوطي : « وله التفسير الذي لم يُؤلَّف على نمطه مثله » .

ويُعدُّ هذا التفسير من التفاسير المأثورة ، والتي ضاع أكثرها قبل عصر ابن تيمية – رحمه اللَّه – المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . وقيمة تفسير ابن كثير لا تنحصر في أنه تفسير أثري ، جمع كثيرًا من الروايات والأخبار المأثورة ، إذ من الممكن الحصول عليها من مصدر آخر ، لكن امتياز تفسير ابن كثير عن جميع التفاسير التي بلغتنا – سواء كانت بالمأثور أو غيره – يرجع إلى تطبيقه الفذ لمنهج تفسير القرآن ، إذ جمع الآيات المتماثلة ، وأحصاها عدًا ، وأبان الأسرار الدقيقة في تناسقها ، وانسجام ألفاظها ، وتساوق أساليبها ، وعظمة معانيها ، وهو بهذا يمثل معجمًا مفهرسًا لألفاظ القرآن الكريم وآياته ، لكنه لم يطبع على ورق ، بل على قلبٍ واعٍ لآيات اللَّه وكلماته .

ويرجع امتياز تفسيره أيضًا إلى حشده لكثير من الأحاديث والأخبار والروايات وأقوال الصحابة والتابعين مبيناً – في الغالب – درجة الأحاديث والروايات المأثورة من الصحة والضعف ، كاشفًا عن أسانيدها وطرقها ومتونها على أسس علم الجرح والتعديل ، مرجحًا في أغلب الأحيان الأقوال الصحيحة ، مضعفًا لغيرها .

وقد كان ابن كثير من كبار المحدثين الحفاظ ، لذلك غلبت عليه تلك الطريقة الحديثية في تفسيره ، ويكفي أن تعرف – دعمًا لهذه الحقيقة – أن مجموع مصادر السنة في تفسيره يوازي ثلث المصادر كلها ، وأن الأحاديث التي ذكرها عن الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بلغت عددًا هائلاً .

ومن ميزات ابن كثير أيضًا أنه كان يتمتع بمَلَكة نقدية فاحصة ، سلَّطها على هذا الحشد الهائل من الروايات المأثورة ، والأخبار المتوارثة ، فأقر منها ما يتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم ، وندَّد بالروايات المنكرة ، والأخبار المختلقة التي لا حاجة لنا بها في ديننا ، ولا في دنيانا .

ويرجع امتياز تفسير ابن كثير كذلك إلى أنه ليس في التفاسير كلها – مأثورة وغير مأثورة – ما ناقش الإسرائيليات وأبان زيفها ، ودحض إفكها على هدًى من قواعد علم الجرح والتعديل كتفسير ابن كثير ، فهو في هذا الجانب لا يفوقه مفسر حافظ ولا يضاهيه . وتلك حقيقة واضحة وضوح الشمس لمن تأمل تفسيره وأمعن النظر

فيه .

ويمتاز ابن كثير في تفسيره بأنه كان يمثل السلف الصالح في آرائهم وتصوراتهم كما بينها القرآن والسنة .

كما يعتبر تفسير ابن كثير من أهم تفاسير المحدثين إن لم يكن أهمها على الإطلاق لاعتبارات كثيرة منها :

* كثرة المصادر التي ذكرها من كتب السنة والتفسير ، والإكثار من النقل عنها .

* ذكر الطرق المختلفة للحديث الواحد .

* ذكر المواضع المتعددة للحديث في الكتاب الواحد .

* عدم الاكتفاء بحديث أو اثنين في الموضع الواحد .

* بيان درجة الحديث وذكر الثقات والضعفاء والمجاهيل من الرواة على ضوء ما قاله علماء الجرح والتعديل .

* تحذير ابن كثير المتكرر من الإسرائيليات ، والروايات المضطربة في التفسير والحديث ونقده لها .

* يضاف إلى هذا تأخر ابن كثير زمنيًا – إذ عاش في القرن الثامن الهجري – مما وفَّر تحت يديه عدد هائلاً من المراجع والمصادر في التفسير والحديث ، وهذا ما لم يكن متوفرًا لغيره من المفسرين قبله .

لذلك فقد عُدَّ تفسير ابن كثير من أحسن التفاسير وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، كما يقول أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله تعالى .

بل إنه قد فاقه في جوانب كثيرة ، واستدرك عليه كثيرًا من الأمور ، ولهذا وضع لهذا التفسير القبول في الأرض ، فوجد له رواج بين عوام المسلمين قبل طلبة العلم منهم ، ولا نعلم تفسيرًا بلغ في عدد طبعاته مثل هذا الكتاب .

لذلك فقد عزمنا – بعد استخارة المولى تبارك وتعالى – أن نخرج هذا التفسير في ثوبٍ قشيب ، قلَّ أن تجد مثله – إن شاء الله تعالى – في الطبعات السابقة .

وقبل الشروع في المقصود رأينا أن نقدم بين يدي الكتاب مقدمة متضمنة ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة الحافظ ابن كثير .

الفصل الثاني : منهج ابن كثير في تفسيره .

الفصل الثالث : منهجنا في التحقيق .

الفصل الأول

ترجمة الحافظ ابن كثير(١)

هو الإمام الحافظ الحجة المحدّث المؤرخ الثقة ، ذو الفضائل ، عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ، الشافعي .

- ولد رحمه اللَّه بقرية « مِجْدَل » من أعمال « بُصْرَى » وكان أبوه من أهل « بصرى » ، وأمه من قرية « مجدل » .

وقومه كانوا ينتسبون إلى الشرف ، وبأيديهم نِسَب .كما قال هو في ترجمة أبيه ، في تاريخه « البداية والنهاية » : « وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي »

- وتاريخ مولده سنة ٧٠٠هـ ، كما ذكر أكثر من ترجم له « أو بعدها بقليل » كما قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة . وهو تاريخ تقريبي . الراجح أنه مستنبط من كلامه في ترجمة أبيه ، حيث ذكر أن أباه « توفي سنة ٧٠٣ هـ : وكنت إذ ذاك صغيرًا ابن ثلاث سنين أو نحوها ، لا أدركه إلا كالحلم » .

و « ابن ثلاث سنين » لا يعرف تواريخ السنين - على اليقين - في تلك السن . فقد سمع إذن تحديد السنة التي مات فيها أبوه ممن حوله من إخوة أو أهل أو جيران . ولكنه يدرك أباه « كالحلم » فالذي هو في سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئًا « كالحلم » ولا أبعد من الحلم ولا أقرب . فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة - في أكبر ظني - ولذلك أرجح أن مولده كان في سنة ٧٠٠ أو قبلها بقليل . وهو أقرب إلى الصحة من قول الحافظ ابن حجر : « أو بعدها بقليل » لأن الذي « بعدها » لا يكاد يبلغ الثالثة عند موت أبيه .

- وكان أبوه « الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير » من العلماء الفقهاء الخطباء . ولد - كما قال ابنه - في حدود سنة ٦٤٠ . وترجم له ابنه الحافظ في تاريخه الكبير « البداية والنهاية » ج ١٤ ص ٣١- ٣٣ ومما قال في ترجمته : « اشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى . فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة . وحفظ جمل الزجاجي . وعُني بالنحو والعربية واللغة . وحفظ أشعار العرب ، حتى

---

(١) - نقلنا هذه الترجمة من مقدمة الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه تعالى - لكتابه عمدة التفسير .

كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء . وقرر بمدارس بصرى بمَبْرَك الناقة شمالي البلدة ، حيث يزار ، وهو المَبْرَك المشهور عند الناس !والله أعلم بصحة ذلك . ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النووي والشيخ تقي الدين الفزاري ، وكان يكرمه ويحترمه ، فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني . فأقام بها نحوًا من ١٢ سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجدل : القرية التي منها الوالدة . فأقام بها مدة طويلة ، في خير وكفاية وتلاوة كثيرة . وكان يخطب جيدًا ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع ؛ لديانته وفصاحته وحلاوته . وكان يؤثر الإقامة في البلاد ، لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله . وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها . أكبرهم إسماعيل . ثم يونس ، وإدريس . ثم من الوالدة : عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، وأخوات عدة . ثم أنا أصغرهم وسميت باسم الأخ إسماعيل - لأنه كان قد قدم دمشق ، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده ، وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه ، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري ، وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني .

- ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية ، فمكث أيامًا ومات . فوجد الوالد عليه وجدًا كثيرًا ، ورثاه بأبياتٍ كثيرة . فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه . فأكبر أولاده : إسماعيل ، وأصغرهم وآخرهم : إسماعيل ، فرحم الله من سلف ، وختم بخير لمن بقي .

توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ٧٠٣ في قرية مجدل . ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون . وكنت إذ ذاك صغيرًا ، ابن ثلاث سنين أو نحوها . لا أدركه إلا كالحلم . ثم تحولنا من بعده في سنة ٧٠٧ إلى دمشق ، صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقًا ، وبنا رفيقًا شفوقًا ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين - يعني سنة ٧٥٠ . فاشتغلت على يديه في العلم ، فيسر الله تعالى منه ما يسر ، وسهل منه ما تعسر » .

وقد بدأ الاشتغال بالعلم على يدي أخيه عبد الوهاب - كما قال آنفًا - ثم اجتهد في تحصيل العلوم على العلماء الكبار في عصره . وحفظ القرآن الكريم ، وختم حفظه سنة ٧١١، كما صرح بذلك في تاريخه ١٤ : ٣١٢ وقرأ بالقراءات ، حتى عدَّه الداودي من القراء ، وترجم له في طبقاتهم التي ألفها . وسمع الحديث من كثير من أئمة الحفاظ في عصره . وعني بالسماع والإكثار منه . فمما ذكر في تاريخه ١٤ : ١٤٩، أنه سمع صحيح مسلم في تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلاني ، بقراءة الوزير العالم أبي القاسم محمد بن محمد بن سهل الأزدي الغرناطي

الأندلسي ، المتوفى بالقاهرة في ٢٢ محرم سنة ٧٣٠- حين قدم دمشق في جمادى الأولى سنة ٧٢٤ عازمًا على الحج .

وذكر في ترجمة شيخه الكبير المعمّر الرحلة شهاب الدين الحجار المعروف بابن الشحنة : أنه سمع عليه « بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحوًا من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع » . وهذا الشيخ « عاش مائة سنة محققًا ، وزاد عليها » . وتوفي سنة ٧٣٠ . (التاريخ ١٤: ١٥٠) .

وتفقّه على الشيخين : برهان الدين الفزاري وكمال الدين بن قاضي شهبة . وحفظ التنبيه للشيرازي في فروع الشافعية ، ومختصر ابن الحاجب في الأصول . ولزم الحافظ الكبير أبا الحجاج المزي ، وقرأ عليه مؤلفه العظيم في الرجال « تهذيب الكمال » وصاهره على ابنته زينب . وكان من أعظم تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية . ولازمه وتخرج على يديه ، وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه .وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي .

وكان من أفذاذ العلماء في عصره . أثنى عليه معاصروه وتلاميذه ومن بعدهم - الثناء الجم .

- فذكره الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ [٤: ٢٩] ، مع أن الذهبي يكاد يكون من طبقة شيوخه ، لأنه مات سنة ٧٤٨، قبل ابن كثير بـ ٢٦ سنة . فقال في طبقات الحفاظ : « وسمعت من الفقيه المفتي المحدث ، ذي الفضائل ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البُصْرَوي الشافعي . . . سمع من ابن الشحنة وابن الرداد وطائفة ، له عناية بالرجال والمتون والفقه . خرَّج وناظر وصنف وفسر وتقدم » . وقال الذهبي في « المعجم المختص » - فيما نقل ابن حجر وغيره : « الإمام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن ، محدث متقن ، مفسر نقال » .

وقال تلميذه شهاب الدين ابن حجي : « كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث . وأعرفهم بتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها . وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك . وكان يستحضر كثيرًا من التفسير والتاريخ ، قليل النسيان . وكان فقيهًا جيد الفهم صحيح الذهن ، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت . ويشارك في العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر . وما أعرف أني اجتمعت به - على كثرة ترددي عليه - إلا واستفدت منه » . (عن النعيمي في كتاب الدارس) .

وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٨) :

« وصاهر شيخنا أبا الحجاج المزي فأكثر عنه . وأفتى ودرس وناظر ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو . وأمعن النظر في الرجال والعلل » .

وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : « ولازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتحن بسببه . وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته . ولم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي ، وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء . وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد » .

- ونقل السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ كلام الحافظ ابن حجر في أنه « لم يكن على طريقة المحدثين ... » ثم تعقبه بقوله : « العمدة في علم الحديث ؛ معرفة صحيح الحديث وسقيمه ، وعلله واختلاف طرقه ، ورجاله جرحًا وتعديلاً ، وأما العالي والنازل ونحو ذلك - فهو من الفضلات ، لا من الأصول المهمة » . وهذا حق .

وقال السيوطي أيضًا : « له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله » . يشير إلى هذا التفسير العظيم الذي بين أيدينا .

وقال العلامة العيني - فيما نقل عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة : « كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، وسمع وجمع ، وصنف ودرس ، وحدث وألف . وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير . وله مصنفات عديدة مفيدة » .

ووصفه الحافظ العلامة شمس الدين بن ناصر ، في كتاب « الرد الوافر » - بأنه « الشيخ الإمام العلامة الحافظ ، عماد الدين ، ثقة المحدثين ، عمدة المؤرخين ، علم المفسرين » .

وقال فيه ابن حبيب - فيما نقل الداودي في طبقات القراء ، وابن العماد في « الشذرات » : « إمام ذوي التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بأقواله وشنف ، وحدَّث وأفاد ، وطارت فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير » .

وروى له الحافظ ابن حجر في « إنباء الغمر » ، وابن العماد في « الشذرات » - البيتين المشهورين ، الذائعين على الألسنة :

تَمُرُّ بِنَا الأيامُ تَتْرَى وإنما   نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تَنْظُرُ
فلا عائدٌ ذاكَ الشبابُ الذي مَضَى   ولا زَائِلٌ هذا المَشيبُ المُكَدِّرُ

وصحبته وملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية أفادته أعظم الفوائد ، في علمه ودينه ، وتقوية خلقه ، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة .

فهو مستقل الرأي ، يدور مع الدليل حيث دار ، لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره . وكتبه العظيمة ، وخاصة هذا التفسير الجليل - فيها الدلائل الوافرة . ونجده - مع أنه شافعي المذهب - يفتي في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، بما رجحته الدلائل الثابتة الصحاح ، أنه يقع طلقة واحدة . ثم يمتحن ويلقى الأذى ، فيثبت على قوله ، ويصبر على ما يلقى في سبيل الله .

- وهو - وهو تلميذ شيخ الإسلام ومن خاصة أنصاره - يعرف ما كان بين شيخه شيخ الإسلام/وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي - ومع ذلك فإنه لا يعين عليه في محنة لحقته ، بل يعلن عن غبطته بأن تزول عنه المحنة . فيذكر في التاريخ - في حوادث سنة ٧٤٣ (١٤ : ٢٠٤) أنه أرجف الناس كثيرًا بقاضي القضاة - في دمشق - « واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا وإلى الفخري . وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه ، وداروا بها على المفتين ، فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة . وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت ، لما فيها من التشويش على الحكام » . ثم يقول : « وكانوا له في نية عجيبة ، ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية » .

فهذا خُلق أهل العلم النبلاء الأتقياء .

وقد طار ذكره في الأقطار الإسلامية ، حتى إنه ليذكر في حوادث سنة ٧٦٣ (١٤ : ٢٩٤- ٢٩٥) أن شابًا أعجميًا حضر من بلاد تبريز وخراسان ، « يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلمًا « وجامع المسانيد » و « الكشاف » للزمخشري وغير ذلك » ، وأنه امتحنه بقراءة مجالس من البخاري وغيره ، بحضرة قاضي القضاة الشافعي ، وجماعة من الفضلاء ، ثم قال : « وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة . وقال : أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزني . وذكرك في بلادنا مشهور » .

وهذا الخبر يدل على أن كتابه « جامع المسانيد » وصل إلى أقصى الشرق ، في بلاد تبريز وخراسان ، حتى يحفظه هذا الشاب الأعجمي أو يحفظ شيئًا منه . في حين أن الحافظ ابن كثير لم يتم تأليف « جامع المسانيد » كما هو معروف ، فكأن العلماء

وطلاب العلم كانوا ينسخون ما يخرج منه ، ويتداولونه بينهم ، حتى يصل من دمشق إلى تلك النواحي النائية .

ولم يكن ممن يخدع في الفتاوى التي ظاهرها قصد الاستفتاء ، ووراءها ألاعيب سياسية ، أو أغراض شخصية غير سليمة ، وإن كان المستفتي من الأمراء أو ممن يخشى بأسه ، فهو يقول في حوادث سنة ٧٦٢: « وجاءتني فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلامًا ، فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب على سيده فقتله ، وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله ؟ فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيدًا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين .

فهذا استفتاء صيغ في صورة توحي بالجواب . وباطنه أن ذاك الأمير السائل يريد أن يمتنع على الملك الذي دعاه للحضور عنده ، ويريد أن يثير فتنة وقتالاً على صاحب الأمر ، لعله يصل إلى ما وصل إليه ذاك من المُلْك ، كعادة الأمراء من المماليك في ذلك العهد . ولكن ابن كثير يجيبه جوابًا حكيمًا يكشف عن بعض مقصده ، ويضمن جوابه النصيحة الواجبة في مثل هذه الحال ، فيقول : « فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده ! ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة في ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ! وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة ، والأمراء عليه - فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه » (التاريخ ١٤ : ٢٨١ -٢٨٢) .

وكان الإفرنج قد غدروا بمدينة الإسكندرية ، وأشاعوا فيها الرعب ، وارتكبوا الفظائع غدرًا ، وذلك : أنهم وصلوا إليها من البحر يوم الأربعاء ٢٢ محرم سنة ٧٦٧ « فلم يجدوا بها نائبًا ولا جيشًا ، ولا حافظًا للبحر ولا ناصرًا ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار ، بعدما حرقوا أبوابًا كثيرة منها . وعاثوا في أهلها فسادًا ، يقتلون الرجال ، ويأخذون الأموال ، ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء . فلما كان صبيحة الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج - لعنهم الله - عنها ، وقد أسروا خلقًا كثيرًا يقاربون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهبًا وحريرًا وبهارًا وغير ذلك . ما لا يحد ولا يوصف . وقدم السلطان والأمير الكبير يلبغا ظهر يومئذ وقد تفارط الحال ، وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل

والبكاء والشكوى والجأر إلى الله ، والاستغاثة به وبالمسلمين - ما قطع الأكباد ، وذرفت به العيون وأصم الأسماع . فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جدًا ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر ، فتباكى الناس كثيرًا . فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

فهذه وقعة شنيعة غادرة من الإفرنج - كعادتهم - والنفوس تتقزز من مثلها ، وتثور من أجلها . والملوك والأمراء الظالمون ينتهزون فرصة تعبئة الرأي العام الإسلامي - وثورته من أجل هذا الغدر ، وغضبًا لهذه الفظائع - ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، وظاهر أمرهم الانتقام وباطنه السلب والنهب . ولكن الحافظ ابن كثير يلزم جانب الحق والعدل ، ولا يرضى بالظلم ، ولو كان ظاهره الانتقام والثأر للمسلمين ، فيقول : « وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية ، إلى نائب السلطنة ، بمَسْك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم ، لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الإفرنج . فأهانوا النصارى ، وطلبوا من بيوتهم بعُنْف . وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يراد بهم ، فهربوا كل مهرب . ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعًا .

وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر أي سنة ٧٦٧ إلى الميدان الأخضر ، للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ ، بعد الفراغ من لعب الكرة . فرأيت منه أنسًا كبيرًا ، ورأيته كامل الفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة . فذكرت له أن هذا لايجوز اعتماده في النصارى ، يعني المرسوم بالمصادرة . فقال : إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ! فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعًا ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا . ومتى كانوا باقين على الذمة ، يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة - لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية . ومثل هذا لا يخفى على الأمير ! فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ؟ ولا يمكنني أن أخالفه ؟! » .

ثم ذكر أن نائب السلطنة كتب بذلك إلى الديار المصرية . ولكن هذا النائب لم يكن عند قوله ، فنفذ المرسوم ، وطلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيستهم إلى بين يديه ، وهم قريب من أربعمائة ، فحلفهم : كم أموالكم ؟ وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » ، وكانت هذه المصادرة الظالمة في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧ . ثم قال الحافظ - في حوادث شهر ربيع الآخر : « وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني ، بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهم مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهم ، وإن كان الجميع ظلمًا ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم » . (التاريخ ١٤ : ٣١٤- ٣١٥، ٣١٨) .

فانظر إلى هذا الإمام العظيم ، الذي يقف عند حدود الشريعة المطهرة ، يقيم ميزان العدل الصحيح كما عرفه من دينه الحنيف ، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة من أمراء طغاة جائرين . كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى وبغيهم ، وشتان هذا وذاك ، ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل .

فكان هذا العقل المستقل العظيم الثابت على الحق ، والذي لا تغلبه العواطف والأهواء ، مما يجعل للرجل منزلة عند الناس كبيرة . يثق به أنصاره وغير أنصاره ، وموافقوه ومخالفوه . بل جعله موضع الثقة والاستشارة عند الذميين ، حتى ليستشيره بعض رؤسائهم ، في أخص شئونهم الكنيسية ، فإنه يذكر قصة طريفة ، في استشارة أحد البتاركة إياه في ذلك . يحسن أن نذكرها بعبارته بحروفها :

فقال - في حوادث سنة ٧٦٧ : « وحضر عندي يوم الثلاثاء تاسع شوال ، البَتْرَك بشارة ، الملقب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركًا بدمشق عوضًا عن البترك بأنطاكية . فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فإنه لا تكون البتاركة إلا أربعة : بالإسكندرية ، وبالقدس ، وبأنطاكية ، وبرومية ، فنقل رومية إلى إسطنبول ، وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعوه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن أنطاكية . وإنما أُذن له في المقام بالشام الشريف ، لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية . وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك إسطنبول ، وقرأها عليَّ من لفظه - لعنه اللّه - ولعن المكتوب إليهم أيضًا !! وقد تكلمت معه في دينهم ، ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاثة وهم : الملكية ، واليعقوبية - ومنهم الإفرنج والقبط - والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء . ولكن حاصله أنه حمار ، من أكفر الكفار ! لعنه اللّه » . (التاريخ ١٤ : ٣١٩- ٣٢٠) .

ولا يعجبن القارئ من أن يكون ابن كثير أعلم بعقائد طوائف النصارى من أحد بتاركتهم . أستغفر اللّه ، بل إنه يذكر عن ذاك البترك ميخائيل الذي تكلم معه « أنه يفهم بعض الشيء » - لأن ابن كثير رحمه اللّه من أوسع العلماء اطلاعًا على أقوال أهل الملل والنحل ، خاصة مذاهب المسيحيين . كما يدل عليه كلامه في مواضع كثيرة في التفسير والتاريخ . بل يكفي في الدلالة على سعة اطلاعه في ذلك أن يكون تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي ألف موسوعته النفيسة في ذلك : « كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » . وهو مطبوع معروف .

وكان - رحمه اللّه - قد أضر في آخر عمره . ثم مات يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٧٧٤ . وقال ابن ناصر : « وكانت له جنازة حافلة مشهورة . ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية ، بمقبرة الصوفية ، خارج باب النصر من دمشق » .

*****

الفصل الثاني

منهج ابن كثير في تفسيره(٢)

رسم ابن كثير منهجه وحدد أصوله في مقدمة التفسير . وهذا المنهج قد وضعه شيخه ابن تيمية من قبل ، بل إن أصول هذا المنهج من صياغة ابن تيمية نفسه ، كما يتبين ذلك من « مقدمته في أصول التفسير » .

وقد بدأ ابن كثير مقدمة تفسيره بعد خطبة الكتاب ببيان طرق وأصول التفسير ، فبدأ بالأصل الأول وهو :

١- تفسير القرآن بالقرآن :

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أُجمل في مكانٍ فإنه قد بُسط في موضع آخر .

وتجد هذا الأصل في مقدمة التفسير لابن تيمية بنفس العبارات مع تغيير طفيف .

* وقد طبق ابن كثير هذا المنهج خير تطبيق ، فنجده قد جمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد :

فهو يحشد في تفسيره بالقرآن الآيات المماثلة التي يجمعها وحدة الموضوع ، أو تندرج تحت قاعدة عامة يلتزم بها القرآن الكريم .

ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نُمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في الخيرات** ﴾ قال : يعني أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ كلا ، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء ، ولهذا قال : ﴿ **بل لا يشعرون** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ **إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلى

---

(٢) - نقلاً عن رسالة « الحافظ ابن كثير ومنهجه في التفسير » للدكتور إسماعيل سالم - رحمه اللّه تعالى - وذلك بتصرفٍ واختصار

قوله: **﴿ عنيدًا ﴾** ، وقال تعالى : **﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحًا ﴾** الآية . والآيات في هذا كثيرة .

٢- تفسير القرآن بالسنة :

وقد صور ابن كثير هذا الأصل بقوله : « فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعي - رحمه اللّه تعالى - : « كل ما حكم به رسول اللّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، قال اللّه تعالى : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك اللّه ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾** . وقال تعالى : **﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾** وقال تعالى : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾** ولهذا قال رسول اللّه ﷺ : « **ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه** » - يعني السنة .

ويستطرد ابن كثير في بيان هذا الأصل فيقول : والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ؛ فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول اللّه ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **فبم تحكم ؟** » قال : بكتاب اللّه . قال : « **فإن لم تجد ؟** » قال : بسنة رسول اللّه ﷺ قال : « **فإن لم تجد ؟** » قال : أجتهد رأيي . قال : فضرب رسول اللّه ﷺ في صدره وقال : « **الحمد للّه الذي وفق رسول رسول اللّه لما يرضي رسول اللّه** » .

وذكر أن هذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد .

وهذا الأصل تراه بألفاظه عند ابن تيمية .

* والأمثلة على تفسير القرآن بالسنة لا حصر لها حتى ليتحير المرء في اختيار بعضها ؛ لكثرتها أولاً ، ولطولها ثانيًا ، ولتعدد جوانب الاستشهاد بها ثالثًا ، ومن ثم ليكون معروفاً أن النماذج التي نسوقها لا تعطي رؤية كاملة وتامة لتفسير القرآن بالسنة عند ابن كثير ، ومن أراد صورة مكتملة فليرجع إلى التفسير نفسه ، فقد يصل الأمر بابن كثير أن يفسر بعض الآيات بما يزيد على خمسين حديثًا كما فعل عند تفسيره لآية الإسراء ، ونورد هنا بعض الأمثلة القليلة والقصيرة والتي تصور إلى حد ما مدى إفادته من السنة في التفسير ، ومدى ارتباطه بها ، إذ قد توضح مبهمًا ، أو تخصص عامًا ، أو تقيد مطلقًا ، أو تفصل مجملاً وما إلى ذلك .

* والسنة النبوية حين تفسر الآية تعطي المعنى الصحيح ، فكثير من المفسرين - ومنهم مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم - قالوا في تفسير قوله تعالى : **﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ﴾** أن

الضمير يرجع إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقال مجاهد في رواية أخرى له : اللَّه سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر ﴿ **وفي هذا** ﴾ يعني القرآن ، وعلق ابن كثير على هذا فقال : وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال : ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر ، وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحبار والرهبان فقال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿ **وفي هذا** ﴾ . ثم ذكر حديثًا رواه النسائي عن الحارث الأشعري عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم** » . قال رجل : يا رسول اللَّه وإن صام وصلى ؟ قال : « **نعم ، وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة اللَّه التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد اللَّه** » .

* وقد يستشكل على المرء معنى آية بجانب حديث يوهم التعارض معها فيبدد الحافظ ابن كثير هذا الإشكال بحجج قوية .

من ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللَّه** ﴾ فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي ، فقال : أي خبيث ؟ وعلى محمد ﷺ . فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تفضلوني على الأنبياء ؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور ، فلا تفضلوني على الأنبياء** » . وفي رواية : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » فالجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل . وفي هذا نظر .

الثاني : أن هذا من باب الهضم والتواضع .

الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .

الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

الخامس : ليس مقام التفضيل إليكم ، وإنما هو إلى اللَّه عز وجل ، وعليكم الانقياد والتسليم له ، والإيمان به » .

وقد ذكر بعض هذه الوجوه في موضع آخر .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

قال ابن كثير في ذلك : « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنهم .

وذكر روايتين عن ابن مسعود قال في إحداهما : والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب اللَّه مني تناله المطايا لأتيته .

ومن هؤلاء البحر الحبر عبد اللَّه بن عباس ترجمان القرآن ببركة دعاء رسول اللَّه ﷺ حيث قال : «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » وقد ذكر أن ابن مسعود قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . وقد مات ابن مسعود رضي اللَّه عنه - في سنة اثنين وثلاثين على الصحيح ، وعمِّر بعده عبد اللَّه بن عباس ستًا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود .

وذكر أبو وائل أن عليًا استخلف عبد اللَّه بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا .

وانظر هذا الأصل عند ابن تيمية تجده منقولاً عنه .

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين :

وهذا هو الأصل الرابع من أصول التفسير وطرقه ، وفيه يقول ابن كثير :

« إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى قول التابعين كمجاهد بن جبر ، فإنه كان آية في التفسير . ونقل عن محمد بن إسحاق عن مجاهد قوله : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منها وأسأله عنها . وقال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به» .

ومن التابعين أيضًا سعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن رباح ،

والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم ، وهؤلاء تذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالاً ، وليس كذلك ، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن ، فليتفطن لذلك والله الهادي .

وأورد ابن كثير اعتراضًا ذكره شعبة بن الحجاج وغيره قال فيه : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟! وأجاب ابن كثير - نقلاً عن ابن تيمية - يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة . فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ، ولا على من بعدهم . ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك .

٥- لا يختص بالتفسير الرسول ﷺ أو السلف الصالح :

يتعرض ابن كثير قبل بحث هذا الأصل لموضوع تفسير القرآن بالرأي فيقول : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام ، وذكر رواية عن ابن عباس عن النبي ﷺ : « **من قال في القرآن برأيه ، وبما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار** » وبين أن هذا الحديث قد أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وقال الترمذي: حديث حسن .

وروى ابن جرير عن جندب أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ** » وعلق ابن كثير على هذا الحديث فقال : وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حَزم القُطعي ، وقال الترمذي : غريب .

وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل ، وفي لفظ لهم : « **من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ** » ، أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به ، وسلك غير ما أمر به . والله أعلم .

ثم يقول : « وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال : ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ فالقاذف كاذب . ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر ؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم ؛ لأنه تكلف ما لا علم له به ، والله أعلم .

ويذكر ابن كثير روايات كثيرة عن جماعة من السلف الصالح تفيد تحرجهم عن

التفسير .

منها ما روي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إذا أنا قلت في كتاب اللّه مالا أعلم .

وعن أنس - رضي اللّه عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه قرأ على المنبر : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو التكلف يا عمر .

وعلّق على هاتين الروايتين فقال : وهذا كله محمول على أنهما - رضي اللّه عنهما - إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل .

أما رواية ابن أبي مليكة فقد قال فيها : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما يوم ﴿ **كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ فقال له الرجل : إنما سألتك لتحدثني . فقال ابن عباس : هما يومان ذكر اللّه في كتابه ، اللّه أعلم بهما . فكره أن يقول في كتاب اللّه ما لا يعلم .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئًا .

وذكر عنه أيضًا أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن . وسئل ابن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء . يعني عكرمة .

وعن عبد اللّه بن عمر العمري قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد اللّه ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

ويعلق ابن كثير على هذه الآثار فيقول : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يسلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه .

ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة ، لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق :

« من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » .

وذكر ابن كثير عن الطبري رواية من طريق جعفر بن محمد الزبيري ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : ما كان النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيات بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام .

قال ابن كثير : وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن اللّٰه تعالى مما وقفه عليها جبرائيل .

وهذه عبارة الطبري من تفسيره : « أما الخبر الذي روي عن رسول اللّٰه ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئًا إلا آيات تعد ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل ، وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك بتفصيل مجمل ما في آية ، من أمر اللّٰه ونهيه وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه ، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل ، وللعباد إلى تفسيره الحاجة . لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند اللّٰه على لسان رسول اللّٰه ﷺ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن من سائر حكمه الذي جعل بيانه لخلقه إلى رسول اللّٰه ﷺ ، فلا يعلم أحد من خلق اللّٰه تأويل ذلك إلا ببيان رسول اللّٰه ﷺ ، ولا يعلمه رسول اللّٰه ﷺ إلا بتعليم اللّٰه إياه ذلك بوحيه إليه ، إما مع جبريل أو مع من شاء من رسله إليه ، فذلك هو الآي التي كان رسول اللّٰه ﷺ يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه ، وهن لا شك آي ذوات عدد . ومن آي القرآن ما قد ذكر أن اللّٰه جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكًا مقربًا ، ولا نبيًا مرسلًا ، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده وأنه لا يعلم تأويله إلا اللّٰه ، فأما ما لابد للعباد من تأويله ببيان اللّٰه ذلك له ، بوحيه مع جبريل ، فذلك هو المعنى الذي أمره اللّٰه ببيانه لهم ؛ فقال جل ذكره : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾** .

ولو كان تأويل الخبر عن رسول اللّٰه ﷺ أنه كان لا يفسر من القرآن شيئًا إلا آيًا تعد هو ما يسبق إليه أوهام أهل البدع من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه ؛ كأنه إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليترك للناس ما أنزل إليهم ، لا ليبين لهم ما أنزل . وفي أمر اللّٰه جل ثناؤه نبيه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه ، وإعلامه إياه أنه ما أنزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم ، وقيام الحجة على أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى ما أمره اللّٰه ببلاغه وأدائه على ما أمره به ، وصحة الخبر عن عبد اللّٰه بن مسعود لقوله : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن - : ما ينبيء عن خطأ من ظن أو توهم أن معنى الخبر

الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئًا إلا آيات تعد ، وهو أنه لم يمكن يبين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما في الخبر الذي رُوي عن عائشة من العلة ، التي في إسناده ، التي لا يجوز الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين ، لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري» .

ويوضح ابن كثير هذه العلة التي أشار إليها ابن جرير الطبري فيقول :

« إنه حديث منكر غريب ، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري . قال البخاري : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث » .

وعلق على تأويل الطبري لحديث عائشة فقال : « وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث ، فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس . قال : « التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله » .

٦- نقد الإسرائيليات :

عرض ابن كثير هذا الأصل كما فعل شيخه ابن تيمية ، غير أنه فصل ووضح موقفه من الإسرائيليات بحيث يعتبر - في هذا الأصل - قد أضاف جديدًا .

لقد نقل ابن كثير عن كتب السنة الصحيحة في مواضع مختلفة من تفسيره - عدة أحاديث تفيد النهي الصريح عن الأخذ من أهل الكتاب .

فذكر عن الإمام أحمد ، فيما رواه عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني مررت بأخ لي يهودي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت : قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً ، قال : فسري عن النبي ﷺ وقال : « **والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين** » .

وذكر عن الحافظ أبي يعلى فيما رواه عن جابر قال رسول الله ﷺ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل**

وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي » .

وفي رواية للإمام أحمد ، عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال : « **أمتهوِّكون فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني** » .

وقد قسم ابن كثير الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام فقال :

أحدها : ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته .

ويتحدث عن القسم الثالث في موضع آخر فيقول : ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام : « **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله : « **فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم** » .

ويستطرد في شرح هذا القسم فيقول : وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا ، ويأتي من المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهم الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم .

ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا** ﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى حكى منهم ثلاثة أقوال ، ضعّف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلًا لردّه كما ردّهما ، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال في مثل هذا : ﴿ **قل ربي أعلم**

بعدتهم ﴾ بأنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه اللّه عليه ، فلهذا قال : **﴿ فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ﴾** أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن تنبه على الصحيح منها ، وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل به عن الأهم فالأهم .

فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا ، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنًى ، فقد ضيع الزمان ، وتكثر مما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور ، واللّه الموفق للصواب .

ونخرج من هذا النص بما يلي :

١- أن ما أخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢- أن هذا المروي لا فائدة فيه .

٣- كثرة الخلاف في هذه المرويات .

٤- وجوب استيعاب الأقوال في حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والباطل وذكر فائدة وثمرة الخلاف .

٥- عدم إثارة الخلاف فيما لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكد ابن كثير حرصه على الإعراض على كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من ضياع الوقت، وما اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول في تفسير قوله تعالى : **﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾** :

وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب ، وهو رضيع ، وأنه خرج بعد أيام ، فنظر إلى الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصد كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفًا ، وما كان من هذا الضرب

منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له بما ينتفع به في الدين ، أو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم ، لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة .

والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة » .

منهج ابن كثير في نقد الإسرائيليات :

ومنهج ابن كثير في مهاجمة الإسرائيليات ذو جوانب متعددة ، فقد يشير إليها بدون أن يذكرها ، أو يذكرها منسوبة إلى بعض المفسرين ، أو ينسبها إلى قائلها ، مع مناقشته لها وبيان بطلانها .

وإليك بيان بعض جوانب هذا المنهج .

١- الإعراض عن ذكر الإسرائيليات :

يذكر ابن كثير في كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا إسرائيليات ضربنا عنها صفحًا ، وقد علل وجهة نظره في عدم إيرادها بأن بعض الروايات يستحى من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الإطالة ، والروايات الإسرائيلية كلها باطلة غير صحيحة ، ولا يرجي منها نفع أو خير .

وانظر أمثلة لهذا في تفسير الآية (٨١) من سورة القصص ، والآية (٤) من الإسراء ، والآية (٣٧) من الأحزاب .

والعجب أن يردد هذه الإسرائيليات مُفسر كبير كالطبري والزمخشري ، والعجب أن يردده بعض الأساتذة المحدثين كما فعلت الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها « نساء النبي » فضلاً عن المستشرقين الذين يكيدون للإسلام وأهله .

وها أنت ذا ترى ابن كثير يرد على هذا بأنها روايات باطلة لا يصح منها شيء .

قال الدكتور مصطفي زيد بصدد رده لهذه الإسرائيليات : « ولسنا ندري كيف تبلغ بهم الجرأة إلى حد الدفاع عن إسرائيليات لفقت قبل الطبري ، واستغلال ما وقع فيه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل من أنه من وضع المستشرقين المبشرين ؟ ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزمخشري ، لم يعرف بالحفظ والرواية في أمر يحتاج إليهما ، ويغفلون مفسرًا حافظًا محدثًا هو الحافظ ابن كثير ؟! ثم نقل النص الذي أوردناه عن ابن كثير سابقًا .

٢- الإسرائيليات في أقوال من أسلم من أهل الكتاب :

لقد كان للذين أسلموا من أهل الكتاب دور كبير في نقل كثير من الإسرائيليات في التفسير والحديث والقصص والتاريخ وغير ذلك ، ومن بين الذين اضطلعوا بهذا الأمر الخطير : كعب الأحبار ووهب بن منبه ، فقد أدخلا كثيرًا مما اعتقداه في الديانات السابقة إلى الدين الإسلامي ، لدرجة أنك لا تكاد تفتح كتابًا مأثورًا في التفسير أو الحديث أو القصص أو التاريخ إلا وجدت روايات كثيرة عنهما ، ولا يقبلها العقل ولا الشرع ، ولسنا في حاجة إليها كما قرر ابن كثير دائمًا .

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميري (أبو إسحاق) كان من كبار علماء اليهود ، توفي (٣٣ هـ ٦٥٢م) وقد ذُكرت له أقوال كثيرة في كتب التفسير وغيرها ، وقد نقد ابن كثير كثيرًا من هذه النقول التي أخذت عنه .

فانظر مثلاً :تفسير الآية (١٠٢) من سورة الصافات ، والآية (٥٧) من سورة مريم .

وهب بن منبه :

هو وهب بن منبه الصنعاني ، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، ولد (٢٤ هـ - ٦٤٥م) وتوفي (١١٤هـ - ٧٧٢م) ، وقد أدخل في التفسير والتاريخ والحديث روايات كثيرة أبان ابن كثير عن زيفها وبطلانها .

فانظر مثلاً تفسير الآية (١٥٨) من سورة الأنعام ، والآية (٢٤٨) من سورة البقرة.

٣- الإسرائيليات في أقوال الصحابة :

رُوي عن بعض الصحابة آثار غريبة في التفسير والحديث ، تلقيت عن بعض من أسلم من أهل الكتاب ، ككعب الأحبار ووهب بن منبه ، وبعض ما نقل عن أهل الكتاب لم يصرح فيه بأنه أخذ عنهم ، ولكن كان مصدره بعض كتب أهل الكتاب كما قال ابن كثير عن عبد الله بن عمرو : إن بعض رواياته الغريبة مأخوذة من الزاملتين اللتين حملهما معه من اليرموك .

هذا ، وقد نسب إلى بعض الصحابة كابن عباس كثير من الروايات التي لم يثبت عنه شيء منها ، ومن هنا نجد بعض ما يكشف لنا السر عن الروايات المتناقضة

للصحابي الواحد في الآية الواحدة .

فمن الإسرائيليات التي رويت عن ابن عباس ﷺ: وأبطل ابن كثير نسبتها إليه ؛ ماروي عنه في تفسير الآية (٢٨) من سورة الحجر ، والآية (١١) من سورة الإسراء ، والآية (٢٢) من سورة المائدة .

إسرائيليات عن أنس بن مالك :

وقد روى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رواية غريبة أيضًا عن طول هؤلاء الجبارين .

إسرائيليات عن عبد الله بن عمرو ﷺ:

وأكثرها مأخوذ من الزاملتين اللتين أحضرهما معه من اليرموك كما يقول ابن كثير . . . ومن أمثلة ما روي عنه ما جاء في تفسير الآية (٢٥) من سورة الفرقان ، والآية (١٥٨) من سورة الأنعام .

٤- الإسرائيليات في أقوال التابعين :

وفي أقوال التابعين آثار إسرائيلية كثيرة ، وضعها بعض زنادقة أهل الكتاب ؛ ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، وليلبسوا الحق بالباطل .

فمن ذلك ما أورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب وعكرمة والقرظي : قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ : وعقب عليه قائلاً : فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

مصادر ابن كثير
في التفسير

أولاً : مصادره السلفية :

أكثر الحافظ ابن كثير من نقله عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم ، كعبد اللّه بن عباس وعبد اللّه بن عمرو ، وعبد اللّه بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والحسن البصري ، وأبي الشعثاء ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، وعطاء ابن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن أبي عروبة ، وابن جريج ، وعطية العوفي ، وإبراهيم النخعي ، وعلي بن أبي طلحة ، وسفيان الثوري ، وعطاء بن يسار ، والأعمش ، وأبي وائل ، ومحمد بن كعب وغيرهم .

كما نقل ابن كثير عن أهل اللغة والشروح كالخليل بن أحمد والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، والزجاج وغيرهم .

ثانيا : مصادره من الكتب[٣] :

ها هي ذي مصادر ابن كثير في التفسير ، مرتبة ترتيبًا موضوعيًا أولاً ، ثم أبجديًا داخل كل موضوع ثانيًا ، مع مراعاة الاسم المشهور وحذف كلمة (ال) و (ابن) منه .

أولا : الكتب المقدسة :

١- القرآن الكريم .

٢- التوراة من نسختين .

٣- الإنجيل .

ثانيا : في التفسير وعلوم القرآن :

(أ) في التفسير :

٤- تفسير آدم بن أبي إياس المتوفى سنة ٢٢٠هـ أو ٢٢١هـ .

٥- تفسير أبي بكر بن المنذر المتوفى سنة ٣١٨هـ .

٦- تفسير ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ .

٧- تفسير أبي مسلم الأصبهاني (محمد بن بحر) المتوفى سنة ٣٢٢هـ واسم كتابه : « جامع التأويل لمحكم التنزيل » .

٨- تفسير ابن أبي نجيح (عبد اللّه بن يسار الأعرج المكي مولى ابن عمر) .

٩- تفسير البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء المتوفى سنة ٥١٦هـ) واسم كتابه (معالم التنزيل) .

١٠- تفسير ابن تيمية (تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم المتوفى سنة ٧٢٨هـ) وهو جزء في تفسير قوله تعالى : **﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾** .

١١- تفسير الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم أبي إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ) .

١٢- تفسير الجبائي (أبي علي) المتوفى سنة ٣٠٣هـ .

١٣- تفسير ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ) . واسم الكتاب (زاد المسير في علم التفسير) .

١٤- تفسير ابن دحيم (أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم) المتوفى سنة ٣١٩هـ .

١٥- تفسير الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبي عبد اللّه المشهور بفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، وكتابه يسمى (التفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب) .

١٦- تفسير الزمخشري (جار اللّه أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ) كتابه يدعى (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

١٧- تفسير السدي الكبير المتوفى سنة (١٢٧هـ - ٧٤٥هـ).

١٨- تفسير سنيد بن داود . المتوفى سنة ٢٢٦هـ .

١٩- تفسير شجاع بن مخلد المتوفى سنة ٢٣٥هـ .

٢٠- تفسير الطبري . المتوفى سنة ٣١٠هـ .

٢١- تفسير عبد بن حميد . المتوفى سنة ٢٤٩هـ .

٢٢- تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . المتوفى سنة ١٨٢هـ .

٢٣- تفسير عبد الرزاق الصنعانى ، المتوفى سنة ٢١١هـ .

٢٤- تفسير ابن عطية العوفي . المتوفى سنة ١١١هـ .

٢٥- تفسير القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ) ، وتفسيره يسمى (الجامع لأحكام القرآن الكريم) .

٢٦- تفسير مالك بن أنس إمام دار الهجرة . وهو جزء مجموع له .

٢٧- تفسير الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٤٥٠هـ) . واسم تفسيره (النكت والعيون) .

٢٨- تفسير ابن مردويه .

٢٩- تفسير الواحدي (علي بن أحمد بن محمد بن علي أبي الحسن المتوفى سنة ٤٦٨هـ) .

٣٠- تفسير وكيع بن الجراح . المتوفى سنة ١٩٧هـ .

(ب) في علوم القرآن :

٣١- (البيان) لأبي عمرو الداني (الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ابن سعيد المعروف بالداني (٣٧١- ٤٤٤هـ) وهو حافظ محدث مفسر . واسم الكتاب "جامع البيان في القراءات السبع ") ، وهو من أحسن مصنفاته يشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق قيل : إنه جمع فيه كل ما يعلمه في هذا العلم .

٣٢- (التبيان) لأبي زكريا النووي (محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٧هـ . أما اسم الكتاب فهو (التبيان في آداب حملة القرآن) وقد رتب على عشرة أبواب ثم اختصره وسماه (مختار التبيان) .

٣٣- جزء فيمن جمع القرآن من المهاجرين للحافظ ابن السمعاني القاضي أبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر ، محمد بن أبي المظفر المنصور التميمي المروزي المتوفى سنة ٥١٢هـ .

٣٤- جمع مصاحف الأئمة .

٣٥- شرح الشاطبية للشيخ شهاب الدين أبي شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل

المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ) .

٣٦- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ .

٣٧- مصحف أبي بن كعب وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن : (زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد الأنصاري) وقد توفي أُبيٌّ سنة ١٩هـ ، وقيل ٢٠ أو ٢٢ أو ٢٣هـ .

٣٨- معاني القرآن للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ) .

٣٩- الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام .

تعليق عام حول مصادر ابن كثير في التفسير :

لو ألقينا نظرة فاحصة على المصادر التفسيرية التي استقى ابن كثير منها « تفسيره » فإننا يجب أن نراعي النقاط الآتية :

١- الطابع العام لهذه التفاسير .

٢- أكثر التفاسير ذكرًا عند ابن كثير .

٣- مدى صحة النقول التي نقلها .

٤- موقف ابن كثير من هذه المصادر .

والطابع العام الذي تتميز به المصادر التفسيرية في تفسير ابن كثير هو التفسير بالمأثور ، ومن هنا نرى قائمة كبيرة منها ؛ كتفسير الطبري وابن أبي حاتم ، وسنيد بن داود ، وابن مردويه ، وعبد الرزاق ، ووكيع بن الجراح . . . إلخ وكثير من هذه التفاسير مفقود .

وهناك تفاسير أخرى ذات طابع خاص لكنها قليلة ؛ كتفسير الجبائي ، وأبي مسلم الأصبهاني ، والزمخشري ، ولقد كان لهذه التفاسير منهج اعتزالي فلسفي أخضع الآيات والتراكيب القرآنية لخدمة أهداف المعتزلة ومبادئهم ، ولا يذكر ابن كثير هذه التفاسير إلا بصدد عرض فكرة المذهب ، ثم يشرع في بيان وجهة نظره التي كثيرًا ما تعارض تلك الأفكار غير السلفية والتي تتسم بالتعصب لمذهبها .

وقد يكتفي الحافظ ابن كثير بالإشارة إلى أن تفسير « فلان » قد قال غير الحق لأن أغراضًا معينة قد دفعته إلى قول ما قال .

ومن أمثلة رده على هذه التفاسير ذات النزعة الخاصة ما قاله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ختم اللّه على قلوبهم** ﴾ سورة البقرة الآية (٧) تفنيدًا لرأي الزمخشري .

وأما أكثر التفاسير دورانًا في تفسير ابن كثير فخمسة : تفسير ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وأبي بكر بن مردويه ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وأخص هذه الخمسة تفسير ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، فقد كاد يذكرهما في كل صفحة من صفحات التفسير .

ولعل السبب في هذا ما سبق أن قررناه من أن هذه الكتب تحوي بين دفتيها عددًا هائلاً من الأحاديث والروايات والأخبار الواردة عن السلف الصالح ، وهذا يلائم منهج التفسير بالمأثور الذي آثره ابن كثير لنفسه .

وهناك من المصادر التفسيرية ما لم يذكر إلا مرة أو مرتين ، كتفسير الثعلبي صاحب «العرائس» والمعروف بسرد الأخبار والروايات الإسرائيلية والقصص الخرافية ، ذكر ابن كثير رواية له عن ابن عباس وعائشة - رضي اللّه عنهما - تتحدث عن سحر النبي ﷺ على يد لبيد بن الأعصم الذي حصل على مشاطة النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه ، فسحره بها ، فمرض رسول اللّه ﷺ ، وانتشر شعر رأسه ، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن . . . إلخ .

علق ابن كثير على هذه الرواية فقال : « هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة وفيه بعض نكارة ، ولبعضه شواهد مما تقدم واللّه أعلم» .

وأما مدى صحة النقول التي كان ينقلها عن المصادر ، فإننا قد قمنا ببعض المقارنات بين النقل وأصله في تفسيري ابن جرير والبغوي ، وتبين أن النقول - أكثرها صحيح ، وأن بها بعض الزيادات التي لا تتجاوز بعض الكلمات القليلة مثل « رضي اللّه عنه » أو « عز وجل » ، وكذلك تجد بعض الكلمات الناقصة ، ولكنها قليلة

مثال ذلك نقله عن ابن جرير في تفسير أول سورة الشورى .

وعلى أية حال فإن هذه الزيادة أو النقصان لا تؤثر في المعنى كثيرًا ، وقد تكون هناك بعض النقول التي تجد فيها زيادة أو نقصًا عن الأصل أكثر مما رأينا مما يرجع إلى تعدد النسخ واختلافها ، أو سهو بعض النساخ وغير ذلك .

ويلخص ابن كثير - أحيانًا - ما ينقله عن غيره ، وهو في هذا يبلغ القمة في الأمانة حين يحافظ على النصوص وما تتضمنه من أفكار ، بحيث لا تجد في تلخيصه

بعدًا عن المعني الأصلي أو تحريفًا أو تبديلاً ، مثال ذلك تلخيصه رأي الطبري في تفسير الآية (١٢٤) سورة البقرة .

وقد بينا فيما سبق بعض النصوص التي نقلها - نصًا - ولم يغير فيها شيئًا وقد فعلنا ذلك مع بعض النصوص التي لم نثبتها خشية الإطالة .

وقد ترى الرواية الواحدة بعدة طرق فيقتصر ابن كثير - أحيانًا - على إحداهما ويشير إلى أن الرواية قد رويت من غير وجه، على نحو ما فعل في روايات تفسير الآية المشار إليها آنفًا .

لقد كانت آراء ابن كثير مستمدة من أوثق الكتب الإسلامية المعتمدة ، لكن ما موقفه من هذا الحشد الهائل من المصادر ؟ ونخص الكتب الخمسة التي سبق ذكرها وقلنا : إنه اعتمد عليها كثيرًا ؟ هل كان موقفه مجرد « النقل » فقط .

الحقيقة أن ابن كثير عالم حافظ ناقد مدقق وليس مجرد نقال ، كما قيل .

فإنه إذا لم يتفق مع غيره من المفسرين في بعض الآراء وجدناه يحشد عددًا هائلاً من الأدلة لدحض هذا الرأي أو ذاك .

ومن طبيعته التدرج في وحدة المعارضة ، فإذا استحسن رأيًا نقله بعبارة : « قال فلان » أو : « في تفسير فلان كذا » لكنه إذا خالف رأي غيره قال : « واختار فلان كذا وفيه نظر » . وإذا اشتد الخلاف درجة قال : « زعم فلان كذا » فإذا حمي الجدال وجدته يقول : « والعجب كل العجب أن يقول فلان كذا » وقد يزيد : «مع جلالة قدره » أو يقول : « وقد روي فلان خبرًا عجيبًا منكرًا جدًا » وما شابه ذلك .

وينبه ابن كثير كثيرًا إلى الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث والسيرة وغيرها . وما أكثر هذه الإسرائيليات وما أكثر تحذير ابن كثير منها !

إن تفسير ابن كثير من أمهات كتب التفسير التي تدحض هذه الخرافات التي امتلأت بها كتب كثيرة من التفسير والحديث والسيرة وغيرها . ولقد كان السيوطي صادقًا حين وصف تفسير ابن كثير بأنه « لم يؤلف على نمطه مثله » وبخاصة في مسألة الإسرائيليات ونقدها وتفنيدها وبيان بطلانها ؛ فلقد نقد ابن كثير كثيرًا من الروايات الإسرائيلية التي وجدت في أمهات كتب التفسير كالطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق الصنعاني والبغوي . . . إلخ . ونحن إذا ألححنا على تأكيد هذه الحقيقة فإننا نهدف من وراء ذلك إلى تنبيه الأذهان إلى الخطر الكبير الذي امتلأت به كتب التفسير والمتمثل في الأخبار الواهية والروايات الضعيفة والنقول التي أخذت عن أهل الكتاب بلا نقد ولا روية .

ومن جانب آخر يتبين لنا مدى أهمية تفسير ابن كثير المتحرر من تلك الروايات التي لا تستند إلى دليل عقلي صحيح ، أو نقلي صريح . ومن جهة ثالثة يظهر لنا ثقل المسئولية الملقاة على كاهل العلماء والهيئات العلمية لتحرير كتب التفسير والحديث من تلك الروايات الإسرائيلية الباطلة .

ونشير ههنا إلى مواضع متفرقة من نقد ابن كثير للمرويات التي ينقلها عن الكتب الخمسة التي هي أهم الكتب التي نقل عنها :

١ - : فعن الطبري : نقد ما روى من إسرائيليات في تفسير الآية (٧٤) من سورة الأنعام ، والآية (٨٥) من سورة الإسراء ، والآية (٩٣) من سورة الكهف .

٢ - وعن تفسير ابن أبي حاتم نقد مروايات تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف.

٣ - وعن تفسير عبد الرزاق نقد مرويات تفسير الآية (٦٤) من سورة النساء .

٤ - أما تفسير ابن مردويه فنقد ما رواه في تفسير الآية (٢٦١) من سورة البقرة .

٥ - وأما تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فنقد مرويات تفسير الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف .

يتبين من مراجعة هذه المواضع وغيرها أن موقف ابن كثير مما ينقل هو موقف العالم المدقق الناقد الذي لا يقبل رأيًا غريبًا ، أو خبرًا عجيبًا ، أو رواية إسرائيلية ، بل يهاجمها وينقدها ويبين بطلانها ، وتلك الأمثلة التي أشرنا إلى مواضعها هي قُلٌّ من كُثرٍ ، وفيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع ، وهو شهيد ، والله أعلم .

ثالثا : كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

(أ) الكتب الستة مضافًا إليها مسند أحمد بن حنبل :

٤٠- الجامع الصحيح للإمام البخاري .

٤١- صحيح مسلم .

٤٢- سنن أبي داود.

٤٣- سنن الترمذي (الجامع).

٤٤- سنن النسائي .

٤٥- سنن ابن ماجة .

٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(ب) بقية كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

٤٧- أحاديث الأصول للحافظ ابن كثير .

٤٨- عارضة الأحوذي في شرح الترمذي للإمام أبي بكر محمد بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ

٤٩- الأسماء والصفات للبيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ والكتاب يتضمن الأحاديث الواردة في أسماء اللّه تعالى وصفاته .

٥٠- الأربعين الطائية : (لأبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمداني المتوفى سنة ٥٥٥هـ) وقد ذكر فيه أنه أملى أربعين حديثًا من مسموعاته عن أربعين شيخًا كل حديث عن واحد من الصحابة فذكر ترجمته وفضائله وأورد عقيب كل حديث بعض ما اشتمل عليه من الفوائد وشرح غريبه وأتبع بكلمات مستحسنة وسماه (الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل اليقين) .

٥١- الأطراف لأبي الحجاج المزي .

٥٢- الأفراد للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني الشافعي المولود في دارقطن في محال بغداد (٣٠٦هـ - ٩١٨م) والمتوفى (٣٨٥هـ - ٩٩٥م) أما اسم الكتاب فهو : فوائد الأفراد .

٥٣- الأمالي لأحمد بن سليمان النجاد (أبي بكر أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي المعروف بالنجاد ، فقيه محدث توفي (٣٤٨هـ - ٩٦٠م) ويبدو أن كتابه هذا هو ما أملاه في دروسه التي كان يعقدها بعد صلاة الجمعة (وكانت له حلقتان في جامع المنصور ، حلقة قبل الصلاة للفتوى على مذهب الإمام أحمد ، وبعد الصلاة لإملاء الحديث ، واتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه ومصنفاته وكان رأسًا في الفقه رأسًا في الحديث .

٥٤- الأنواع والتقاسيم في الحديث لابن حبان الحافظ محمد بن أحمد بن حبان البستي المولود في بست من نواحي سجستان بين هراة وغزنة والمتوفى (٣٥٤هـ - ٩٦٥م) .

٥٥- الثقات لابن حبان .

٥٦- جامع الأصول لابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى ٦٠٦هـ ، جمع فيه ابن الأثير الأصول الستة : البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وله مختصر يسمى (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن الديبع الشيباني المتوفي سنة ٩٤٤هـ.

٥٧- جامع الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ .

٥٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : للخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي والمتوفى سنة ٤٦٣هـ) .

٥٩- جامع المسانيد لابن الجوزي .

٦٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

٦١- جزء من الأحاديث التي تنهى عن إتيان النساء في أدبارهن للذهبي .

٦٢- جزء من الأحاديث الواردة في الاستغفار للدارقطني .

٦٣- جزء من الأحاديث الواردة في فضل الأيام العشرة من ذي الحجة لابن كثير .

٦٤- جزء من الأحاديث الواردة في كفارة المجلس لابن كثير .

٦٥- جزء من حديث الصور لابن كثير أيضًا .

٦٦- جزء من الرد على حديث السجل لابن كثير كذلك .

٦٧- الخلافيات للبيهقي .

٦٨- دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي : (عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي (أبي زرعة) محدث حافظ توفي (٣٦٤هـ - ٨٧٨م) .

٦٩- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني : (أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ) وصاحب حلية الأولياء ، وكتابه ذاك ثلاثة أجزاء ذكر منها مؤلفها الأحاديث الواردة في شأن النبي ﷺ وما يتعلق بحياته ونشأته وبعثته وزواجه وغزواته إلخ .

٧٠- دلائل النبوة للبيهقي : وموضوعه كسالفه .

٧١- السنة للطبراني : (أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والأصغر) (٣٦٠هـ) .

٧٢- السنن لأبي بكر بن أبي عاصم : (الحافظ أحمد بن عمرو الشيباني المتوفى ٢٨٧هـ) .

٧٣- سنن أبي بكر الأثرم : (من أصحاب أحمد بن حنبل ، واسمه أحمد بن محمد بن هانىء ، ويكنى أبا بكر . له من الكتب : كتاب السنن في الفقه ، على مذهب أحمد ، وشواهده من الحديث وكتاب التاريخ وكتاب العلل وكتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث .

٧٤- سنن أبي بكر البيهقي .

٧٥- سنن الدارقطني .

٧٦- سنن سعيد بن منصور الخراساني المتوفى ٢٢٧هـ ، وله تفسير كما ذكر الثعلبي في الكشف .

٧٧- شرح البخاري للحافظ ابن كثير وهو من الكتب المفقودة .

٧٨- شرح مسلم للنووي .

٧٩- صحيح ابن خزيمة (محمد بن إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٣١١هـ) .

٨٠- علل الخلال : أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المعروف بالخلال المتوفى ٣١١هـ .

٨١- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي الحافظ أبي محمد الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفي ٣٦٠هـ - ٩٧١م .

٨٢- المختارة للضياء المقدسي واسمه (الأحاديث المختارة) .

٨٣- المراسيل لأبي داود .

٨٤- المستخرج على البخاري للحافظ أبي بكر البرقاني أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي المتوفى ٤٢٥هـ .

٨٥- المستخرج على الصحيحين للضياء المقدسي .

٨٦- مستدرك الحاكم النيسابوري (لأبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن حمد بن نعيم الضبي النيسابوري الشهير بالحاكم المتوفى ٤٠٤هـ .

٨٧- مسند أبي بكر البزار ، أحمد بن عمرو البصري البزار المتوفى ٢٩١هـ أو

٢٩٢هـ .

٨٨- مسند أبي بكر الحميدي (الحافظ عبد اللّه بن الزبير المكي المتوفى ٢١٩هـ) .

٨٩- مسند أبي بكر الصديق لابن كثير وقد تحدثنا عنه من قبل .

٩٠- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي الفارسي مولى بني الزبير المتوفى ٢٠٢هـ ، وقيل ٢٠٤هـ .

٩١- مسند أبي يعلى الموصلي (الحافظ أحمد بن علي بن المثنى الموصلي المتوفى (٣٠٧هـ - ٩١٨م)

٩٢- مسند الحارث بن أبي أسامة (أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي ١٨٦هـ - ٢٨٢هـ) .

٩٣- مسند الدارمي (عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي شيخ مسلم وأبي داود والترمذي المتوفى ٢٥٥هـ - ٨٦٩م .

٩٤- مسند الشافعي .

٩٥- مسند ابن عباس (رضي اللّه عنه) الجزء الثاني منه للحافظ أبي يعلي الموصلي .

٩٦- مسند عبد بن حميد .

٩٧، ٩٨- مسند عمر بن الخطاب ، للحافظ ابن كثير .

٩٩- المسند الكبير لابن كثير (واسمه جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن).

١٠٠- مسند محمد بن يحيى العبدي : (الحافظ أبي عبد اللّه محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد العبدي المتوفى ٣٩٥هـ - ١٠٠٥م .

١٠١- مسند الهيثم بن كليب (ابن شريح الشاشي أبو سعيد المتوفى ٣٣٥هـ - ٩٤٥م وكتابه يسمى (المسند الكبير في الحديث) في مجلدين .

١٠٢- مشكل الحديث لأبي جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ وقيل ٣٢٢هـ .

١٠٣- مشكل الحديث لابن قتيبة (عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد ٢١٣هـ - ٢٧٦هـ) .

١٠٤- مصنف عبد الرزاق الصنعاني .

١٠٥- المطولات للطبراني .

١٠٦- معجم أبي العباس الدغولي : المتوفى (٣٢٥هـ - ٩٣٧م) ، أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السرخسي الدغولي) .

١٠٧- معجم أبي القاسم البغوي : (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ويعرف بابن بنت منيع المتوفى ٣١٧هـ ، وله المعجم الكبير ، والمعجم الصغير ، وكتاب السنن على مذاهب الفقهاء .

١٠٨- المعجم الكبير للطبراني .

١٠٩- الموضوعات لأبي الفرج ابن الجوزي .

١١٠- الموطأ للإمام مالك .

١١١- نوادر الأصول للحكيم الترمذي لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي .

تعقيب عام حول مصادر السنة

يبدو لأول وهلة أن مصادر ابن كثير في الحديث كثيرة جدًا وهي على وجه التحديد واحد وسبعون مصدرًا ، من بينها خمسة عشر مسندًا ، وتسعة كتب من السنن ، وشرح البخاري ، وشرح مسلم ، ومنها أيضًا كتب الصحاح ، والمستخرجات ، والمستدركات ، والجوامع ، والمعاجم ، والمطولات ، وكتب متفرقة في الجرح والتعديل ، ونقد الحديث وغير ذلك .

وإذا أضفنا إلى هذا كله كثيرًا من المصادر التفسيرية التي سبق ذكرها وهي تشتمل على أحاديث كثيرة فإن مصادر السنة وعلومها توازي ثلث المصادر كلها التي ذكرت في تفسير ابن كثير .

وترجع أهمية هذه المصادر إلى أن كثيرًا منها قد فقد ، وليس لدينا منها نسخة مطبوعة أو مخطوطة ، ونستطيع أن نأخذ فكرة محددة إلى حد كبير عن بعضها من تلك النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره ، وفكرة عامة عن بعضها الآخر .

وعلي أية حال ، فإن هذه الكثرة قد خلفت وراءها عددًا هائلاً من الأحاديث النبوية وآراء قيمة في علم الجرح والتعديل ونقد الحديث .

رابعًا : مصادره في الفقه وأصوله :

١١٢- الأحكام الكبرى للحافظ ابن كثير .

١١٣- الإرشاد في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني أبي المعالي عبد الملك بن عبد اللَّه بن يوسف المتوفي ٤٧٨هـ .

١١٤- الاستذكار لأبي عمر بن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى ٦٤٣هـ) .

١١٥- الإملاء للإمام الشافعي .

١١٦- الأم للإمام الشافعي .

١١٧- الأموال الشرعية لأبي عبيد القاسم بن سلام .

١١٨- الإيجاز في علم الفرائض لابن اللبان (أبي الحسين محمد بن عبد اللَّه بن اللبان المصري المتوفى ٤٠٢هـ) .

١١٩- الإيضاح في الفروع لأبي علي الطبري (أبي علي الحسن بن القاسم الطبري الشافعي المتوفى ٣٠٥هـ .

١٢٠- الحواشي للمنذري (للحافظ عبد العظيم بن عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد اللَّه المنذري زكي الدين أبي محمد محدث فقيه) .

١٢١- جزء في تطهير المساجد لابن كثير .

١٢٢- جزء في الذبيحة التي لم يذكر اسم اللَّه عليها .

١٢٣- جزء في فضل يوم عرفة لابن كثير .

١٢٤- جزء في الميراث لابن كثير .

١٢٥- الشامل لابن الصباغ (واسمه الشامل في فروع الشافعية) لأبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي المتوفي ٤٧٧هـ . قال ابن خلكان وهو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلًا .

١٢٦- شرح المهذب للنووي وهو المعروف باسم «المجموع» .

١٢٧- الشرح الكبير للرافعي (أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم

القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣هـ وكتابه يسمى : (العزيز في شرح الوجيز).

١٢٨- الصلاة للمروزي (أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي كان من أشهر المحدثين في زمانه توفي (٢٩٤هـ - ٩٠٦م) .

١٢٩- الصيام لابن كثير .

١٣٠- العبادة الكاملة للّهذلي (أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد الهذلي المغربي المتوفى ٤٦٥هـ - ١٠٧٤م) .

١٣١- العدة للرافعي .

١٣٢- فضائل الأوقات للبيهقي .

١٣٣- فضائل الصلاة على النبي ﷺ لأحمد بن فارس اللغوي (أبي الحسين) القزويني المتوفى (٣٩٥هـ - ١٠٠٤م) .

١٣٤- فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي أبي إسحاق المتوفى ٢٨٢هـ - ٨٩٦م .

١٣٥- كتاب جمعه الذهبي في الكبائر .

١٣٦- كتاب لابن تيمية في إبطال التحليل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية إلى كل باطل .

١٣٧- كشف الغطا في تبيين الصلاة الوسطى للحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي .

١٣٨- المحلى لابن حزم أبي محمد علي بن حزم الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ .

١٣٩- المختصر للإمام الشافعي .

١٤٠- مصنف الإمام البخاري في مسألة القراءة خلف الإمام .

١٤١- المقدمات لابن كثير .

١٤٢- النهاية للإمام الجويني (واسم الكتاب : نهاية المطلب في دراية المذهب) .

١٤٣- الياسق لجنكيزخان المتوفى (٦٢٤هـ) والكتاب عبارة عن أحكام اقتبست من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك وكان دستور التتار .

تعليق عام على مصادره في الفقه

مصادر ابن كثير في الفقه اثنان وثلاثون ، والملاحظ فيها أنها من أمهات كتب الفقه ، ولكن أغلبها مفقود ، وبعضها مخطوط لم ينشر بعد .

ومصادر الفقه أقل بكثير من مصادر السنة ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن ابن كثير لم يكن يفرع المسائل الفقهية ، ويستطرد فيها كما يفعل القرطبي مثلًا في تفسيره ، بل كان يعرضها بإيجاز شديد ويحيل أحيانًا كثيرة إلى كتابه « الأحكام الكبرى» وغيره ، لكنه مع هذا كله استطرد في بعض المسائل التي سنشير إليها في الباب القادم إن شاء اللّه .

ومن الملاحظ أيضًا أن معظم هذه المصادر شافعية المذهب كالأم والإملاء للشافعي وشرح المهذب للنووي ، والإيضاح للطبري ، والشامل لابن الصباغ وغيرها . وقد أفاد ابن كثير من آراء المذاهب الأخرى وكتبها ، ورجح بعض هذه الآراء على مذهبه لأن الدليل الصحيح كان معها .

خامسًا : في التاريخ والسير والتراجم :

١٤٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر .

١٤٥- (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير .

١٤٦- أسماء الصحابة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني .

١٤٧- الإكليل للهمذاني (أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني اليمني المتوفى سنة ٣٣٤هـ .

١٤٨- البداية والنهاية لابن كثير .

١٤٩- تاريخ الخطيب البغدادي .

١٥٠- تاريخ ابن عساكر (علي بن الحسن المتوفى سنة ٥٧١هـ) .

١٥١- التاريخ الكبير للإمام البخاري .

١٥٢- تاريخ مكة للأزرقي (أبي الوليد محمد بن عبد اللّه الأزرقي توفي بعد سنة ٢٤٤هـ بقليل .

١٥٣- تهذيب الأسماء واللغات للنووي .

١٥٤- التنوير في مولد السراج المنير للحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية .

١٥٥- جزء من فتح القسطنطينية للحافظ ابن كثير .

١٥٦- الروض الأنف للسهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المتوفى ٥٦١هـ - ١١٨٥م وكتابه يدعى « الروض الأنف الباسم » في شرح السيرة .

١٥٧- سيرة عمر بن الخطاب لابن كثير .

١٥٨، ١٥٩- السيرة لابن كثير (مطولة وموجزة) .

١٦٠- سيرة الفقهاء للفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلي أبي زكريا من أهل قرطبة بالأندلس .

١٦١- الشفاء للقاضي عياض اليحصبي المتوفى (٥٤٤هـ - ١١٤٩م) .

١٦٢- الطبقات الكبرى لابن سعد (أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع تلميذ الواقدي ومساعده فلقب من أجل ذلك : كاتب الواقدي ، توفي (٢٣٠هـ - ٨٤٥م) .

١٦٣- معرفة الصحابة لابن منده (أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن منده حفيد (أبي عبد الله محمد بن يحيى) .

١٦٤- معرفة الصحابة للموصلي (الحافظ أبي يعلى الموصلي) .

١٦٥- مغازي الأموي سعيد بن يحيى الأموي .

١٦٦- مغازي عبد الله بن لهيعة المتوفى (١٧٤هـ - ٧٩٠م) .

١٦٧- المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة والمتوفى (١٥٠هـ أو ١٥١هـ) .

١٦٨- المغازي لموسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي المتوفى سنة ١٤١هـ .

١٦٩- (نهاية البداية والنهاية) لابن كثير وقد ذكره بقوله (كتاب في التحذير من الفتن) .

تعقيب عام حول مصادره في التاريخ والسيرة والتراجم :

مصادر ابن كثير في التاريخ والسيرة والتراجم خمسة وعشرون مصدرًا . ومعظمها

موجود في المكتبة العربية ، وبعضها مفقود لا ندري عنه شيئًا كسيرة عمر بن الخطاب ومغازي موسى بن عقبة ، والأموي وغيرهم . ونستطيع أن نرى صورة عامة لهذه الكتب المفقودة من النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره .

وهذه المصادر من أمهات الكتب الإسلامية المعتمدة التي يعد الكثير منها موسوعات ضخمة في التاريخ والسير والتراجم كالبداية والنهاية وتاريخ بغداد وتاريخ ابن عساكر والطبقات الكبري وغيرها . فالحافظ ابن كثير كان يستمد معلوماته ويستقيها من مصادر إسلامية معتبرة وذات قيمة كبيرة ، وليس معنى هذا أنها مصادر مبرأة من كل عيب ، وأنها خلت من الروايات الغريبة والمنكرة ، والنقول الإسرائيلية التي يشن ابن كثير الحرب عليها في كثير من الأحوال ، ويحذر منها ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

سادسًا كتب علوم اللغة

١٧٠- الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي .

١٧١- الزاهر لابن الأنباري (أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الأنباري المتوفى ٢٢٨هـ .

١٧٢- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى ٣٩٣هـ وقيل : ٣٩٨هـ أو ٤٠٠هـ .

١٧٣- الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام .

هذه أربعة كتب في علوم اللغة ، منها ما ذكر مرة واحدة كالزاهر لابن الأنباري ، ومنها ما ذكر كثيرًا كالغريب والصحاح ، أما الجمل فكان يرجع إليه ابن كثير إذا احتاج إليه في مسألة نحوية أو تركيب لغوي .

سابعا : مصادر في موضوعات مختلفة :

١٧٤- إثبات عذاب القبر للبيهقي .

١٧٥- الأذكار للنسائي .

١٧٦- الأذكار للنووي .

١٧٧- الأذكار للمعري (الحسن بن علي بن شبيب من المحدثين الفقهاء) .

١٧٨- الأذكار وفضائل الأعمال للحافظ ابن كثير .

١٧٩- الأشراف على مذاهب الأشراف للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة

المتوفى (٥٦٠هـ) .

١٨٠- الاعتقاد للبيهقي .

١٨١- الإنباه على ذكر أصول القبائل الرواة لابن عبد البر .

١٨٢- الأهوال لابن أبي الدنيا (أبي بكر عبد الله أو عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي بالولاء المتوفى (٢٨١هـ - ٨٩٤م) .

١٨٣- التذكرة للقرطبي .

١٨٤- التفكر والاعتبار لابن أبي الدنيا .

١٨٥- التقوى لابن أبي الدنيا .

١٨٦- التوحيد للإمام أبي إسحاق بن خزيمة .

١٨٧- جزء في الإسراء والمعراج للحسن بن عرفة بن يزيد العبدي البغدادي (أبي علي) المحدث .

١٨٨- جزء في دخول مؤمني الجن الجنة لابن كثير .

١٨٩- جزء مجموع في الجراد لابن عساكر .

١٩٠- خطبة لمروان بن الحكم .

١٩١- الخمول والتواضع لابن أبي الدنيا .

١٩٢- ذم الطفيليين للخطيب البغدادي .

١٩٣- ذم المسكر لابن أبي الدنيا .

١٩٤- الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل .

١٩٥- الرد على الجهمية للدارمي (عثمان بن سعيد بن خالد التميمي الدارمي (أبي سعيد) المتوفى ٢٨٠هـ - ٨٩٤م) .

١٩٦- الزهد لعبد الله بن المبارك ويكنى أبا عبد الرحمن المتوفى سنة ١٨١هـ .

١٩٧- السابق واللاحق للخطيب البغدادي .

١٩٨- السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب لأبي عبد الله الرازي .

١٩٩- صفة أهل الجنة للحافظ أبي عبد اللَّه المقدسي .

٢٠٠- صفة العرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٩٧هـ .

٢٠١- صفة النار للحافظ ابن كثير .

٢٠٢- العجائب الغريبة للحافظ محمد بن المنذر (أبي عبد الرحمن محمد بن المنذر ابن سعيد بن عثمان السلمي المعروف بشكر) .

٢٠٣- الفكاهة للزبير بن بكار (أبي عبد اللَّه الزبير بن بكار بن أحمد بن مصعب ابن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير المتوفى ٢٥٦هـ - ٨٧٠م) .

٢٠٤- القبور لابن أبي الدنيا .

٢٠٥- القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر .

٢٠٦- كتاب في الروح للحافظ أبي عبد اللَّه بن منده .

٢٠٧- ما قررته المجامع النصرانية سنة ٤٠٠ هـ نقلاً عن سعيد بن بطريق - يعد من علماء النصارى .

٢٠٨- مسانيد الشعراء لابن مردويه .

٢٠٩- مساوئ الأخلاق (الجزء الثاني منه) لأبي بكر الخرائطي (محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي المتوفى ٢٣٧هـ - ٩٣٨م) .

٢١٠- المستقصى للحافظ البهائي .

٢١١- المشهور في أسماء الأيام والشهور للشيخ علم الدين السخاوي (علي بن محمد بن عبد الرحمن الهمذاني شيخ القراء بدمشق المتوفى ٦٤٣هـ) .

٢١٢- المعارف لابن قتيبة .

٢١٣- مقدمة في الأنساب لابن كثير .

٢١٤- مقصورة ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ) .

٢١٥- مكارم الأخلاق للخرائطي .

٢١٦- النسب للزبير بن بكار .

٢١٧- نوادر الأصول للقرطبي .

ثامنًا : مصادر هامة لم يصرح بأسمائها :

٢١٨- بعض كتب أبي العباس بن تيمية .

٢١٩- بعض كتب ابن جرير غير التفسير .

٢٢٠- كتاب لإمام الحرمين الجويني غير الإرشاد .

٢٢١- كتاب لرزين بن معاوية (أبي الحسن المتوفى بعد العشرين وخمسائة) .

٢٢٢- الكتب الإسرائيلية .

٢٢٣- كتب التفاسير .

٢٢٤- كتب الصحاح والمسانيد والسنن .

هذه سبعة كتب لم يحدد ابن كثير أسماءها ، أما الكتب الثلاثة الأخيرة فإن السبب في عدم تحديدها قد يرجع إلى أن النقل الذي يستقيه منها يكون مشهورًا لدرجة تعفيه عن ذكر مرجعه . لكن هذا الأمر نسبي فقد يكون النقل مشهورًا ومعروفًا من جانب ابن كثير أما بالنسبة لغيره فلا .

والكتب الأربعة الأولى لا ندري لعدم ذكرها وتحديدها سببًا .

تاسعًا : نقول عن شيوخ ابن كثير :

٢٢٥- أبو العباس ابن تيمية .

٢٢٦- أبو العباس الحجار .

٢٢٧- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي .

٢٢٨- أبو الحجاج المزي .

عاشرًا : نقول عامة ومبهمة :

٢٢٩- أبو عمرو بن العلاء (زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن) .

٢٢٠- أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان الأندلسي المتوفى ٥١٧هـ .

٢٣١- الحسن بن هانىء - شاعر .

٢٣٢- ابن بطة (عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة المتوفى ٣٨٧هـ - ٩٩٧م) .

٢٣٣- ابن خلكان القاضي .

٢٣٤- الخليل بن أحمد .

٢٣٥- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) .

٢٣٦- عبد الله بن الزبعري (شاعر مشهور) .

٢٣٧- الغزالي .

٢٣٨- النابغة الذبياني (شاعر) .

٢٣٩- بعض علماء التاريخ .

٢٤٠- بعض علماء الطب .

٢٤١- بعض علماء الهيئة (الجغرافيا) .

الفصل الثالث

منهجنا في تحقيق الكتاب

قمنا بمقابلة الكتاب على نسختين خطيتين كاملتين ، وأثبتنا الفروق بينهما

الأولى وهي النسخة الأزهرية وتقع في سبعة مجلدات

المجلد الأول ، وعدد أوراقه (٣١٢) ورقة ، ويبدأ من أول التفسير إلى نهاية سورة البقرة .

المجلد الثاني ، وعدد أوراقه (٣٢٤) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة آل عمران ، وينتهي بتفسير الآية (٩٥) من سورة المائدة .

المجلد الثالث ، وعدد أوراقه (٣٢٨) ورقة ، ويبدأ بتفسير الآية (٦٩) من سورة المائدة ، وينتهي بتفسير سورة هود .

المجلد الرابع ، وعدد أوراقه (٣٢٢) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة يوسف وينتهي بتفسير سورة الحج .

المجلد الخامس ، وعدد أوراقه (٣٢٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة المؤمنون ، وينتهي بسورة فاطر .

المجلد السادس وعدد أوراقه (٢٨٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة يس ، وينتهي بسورة القمر .

المجلد السابع ، وعدد أوراقه (٣٣٠) ويبدأ بتفسير سورة الرحمن وينتهي بتفسير سورة الناس .

والثانية وهي نسخة دار الكتب المصرية وهي مثل النسخة الأزهرية في عدد المجلدات ، وبداية كل مجلد ونهايته .

منهج تخريج الأحاديث

قد قمنا بتخريج أحاديث الكتاب ، والحكم على بعض الأسانيد من خلال دراسة رجال الإسناد ، بناءً على القواعد التي وضعها أهل العلم في هذا الفن .

وقد اتبعنا منهجًا وسطًا في تخريج الأحاديث ، حتى لا نُسود الصفحات بما لا فائدة منه ، وكان منهجنا في تخريج الأحاديث كما يلي :

إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بعزوه إليهما ، وربما نعزوه إلى الكتب الستة وغيرها ، وذلك إذا نسبه المؤلف إليها ، وهذا من باب التوثيق لأقوال المصنف .

وأما إذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين فإننا نستقصي على قدر وسعنا في التخريج لا سيما إذا كان الحديث مما ضعفه أهل العلم ، فنبين سبب ضعفه ، فإن كان له شاهد يُصحّح أو يُحسّن به ولم يذكره المؤلف ذكرناه ، وأتبعناه بالأحاديث التي وردت في معناه .

كما أننا عرضنا نصوص الأحاديث على كتب السنة الأصول ؛ فإن وجدنا نقصًا أو زيادة في المعنى ذكرنا ذلك في الحاشية ، وأحيانا نضع الزيادة بين معكوفتين في الأصل ، وننبه على ذلك في الحاشية ، وإذا كان الاختلاف يسيرًا كأن يكون في حرف عطف أو في كلمة النبي أو الرسول تركنا ذلك على حاله .

وقد ضبطنا سلاسل الأسانيد التي ذكرها المصنف من خلال الأصول التي اعتمدنا عليها في التخريج ، مع الاستعانة أيضًا بكتب الرجال . ومن أهمها تهذيب الكمال للحافظ المزي ، وتهذيبه وتقريبه للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ومنها ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر . . . . . .

أوهام الحافظ ابن كثير في تفسيره

لعل بعض من ينظر إلى هذا العنوان يلحق سيئ الظن بنا ، ويرى أنّا عمدنا للطعن على من تقدمنا ، وإظهار العيب في علماء سلفنا . ومعاذ اللّه من هذا !! . وأنّى يكون ذلك ، وبهم ذُكرنا ، وبشعاع ضيائهم تبصرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميزنا ، وبسلوك سبيلهم عن المنهج تحيزنا .

وما مثلهم ومثلنا إلا ما قال أبو عمرو بن العلاء : ما نحن فيمن مضى إلا كَبَقْلٍ في أصول نَخْلٍ طوال .

لكن لما جعل اللّه تعالى في الخلق أعلامًا ، ونصب لكل قوم إمامًا ، لزم المهتدين بمبين أنوارهم ، والقائمين بالحق في اقتفاء آثارهم ممن رزق البحث والفهم ، وإنعام النظر في العلم - ونسأل اللّه عز وجل أن نكون كذلك - بيان ما أهملوا ، وتسديد ما أغفلوا إذ لم يكونوا معصومين من الزلل ، ولا آمنين من مقارفة الخطأ والخطل ، وذلك حق العالم على المتعلم ، وواجب على التالي للمتقدم [١] .

ومن هذا المبدأ استخرنا اللّه تعالى في كتابة مثل هذا العنصر في المقدمة ، فرأينا أهميته لا سيما وأن الكتاب متداول بين عوام المسلمين قبل طلبة العلم منهم ، وقد وقع فيه أغلاط وتصحيفات كثيرة نكتفي بذكر أمثلة منها هنا ، والباقي تراه في حاشية الكتاب . لكن مما ينبغي التنبيه عليه ، قبل ذكر هذه الأمثلة أن نقول : إن بعض الأغلاط والتصحيفات التي تم تعقيبها أو تقويمها ، أعظمنا أن تكون غابت عن الحافظ ابن كثير ، وأكثرنا جوازها عليه ، وجوزنا أن يكون ذلك تصحيفًا أو تحريفًا من الناسخ ؛ مع أنه لا يعرى بشر من السهو والغلط فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم .

وقد قسمنا هذه الأوهام بحسب ما وقع لنا إلى أربعة أقسام وهي :

أولاً : (١) - الخطأ في العزو .

مثاله : ألاّ يكون الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، ومع هذا تراه يعزوه إليهما أو إلى واحد منها أو يكون فيهما أو في أحدهما لكنه من طريق غير الطريق الذي عزاه المصنف إليهما أو إلى أحدهما .

ومن ذلك :

١ - أنه ذكر حديثًا - (سورة آل عمران/آية رقم ١٨٥) - من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده إلى أبي هريرة مرفوعًا : « **موضع سوط في الجنة خير من**

الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

وقال : « هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ، بدون هذه الزيادة . يعني قوله : « **اقرءوا إن شئتم** ... » وهذا اللفظ إنما أخرجه البخاري (٢٨٩٢) بإسناده إلى سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا : « **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** » واقتصر مسلم في صحيحه حديث (١٣) (١٨٨١) على إخراج الجزء الثالث من الحديث دون الأولين .

٢ - ومنه أيضًا أنه ذكر حديثًا - (سورة آل عمران/آية ١٦٩) - برواية الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس مرفوعًا : « **ما من نفس تموت لها عند الله خير** ... » الحديث وقال : تفرد به مسلم من طريق حماد .

وهذا إنما أخرجه مسلم من طريق ، حميد وقتادة ، عن أنس ، ولم يخرجه مسلم من طريق ثابت ، عن أنس ، ومن المحتمل أن يكون الناسخ أو غيره تصرف في هذه العبارة وأصلها : تفرد به أحمد من طريق حماد . والله أعلم

٣ - ومنه قوله في (سورة آل عمران / آية ١٨٧) : كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ : « **من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها ، لم يزده الله إلا قلة** » .

وهذا إنما هو جزء من حديث رواه مسلم (١٧٦) (١١٠) من مسند ثابت ، عن الضحاك ، وأصله عند البخاري (١٣٦٣) دون هذه اللفظة ، وقد أفاد أبوالفضل ابن حجر في « الفتح » (١١ / ٥٣٨) : أنها من زيادات مسلم .

٤ - قوله في (سورة النساء / آية ٣١) : « وفي الصحيح شاهد لمعناه - وهو حديث أنس : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » وهو قوله ﷺ بعد ذكر الشفاعة : « **أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المتلوثين** » .

وهذا لا يوجد في أي من الصحيحين وإنما رواه ابن ماجة (٤٣١١) فحسب من بين أصحاب الكتب الستة .

هذا وقد بدا لي أن يكون ابن كثير يعني بقوله : « وفي الصحيح » أي : وفي الحديث الصحيح لأن مثل هذا ورد كثيرًا فيستبعد أن يكرر مثل هذا الوهم منه . والله أعلم . ومع هذا فإن الحديث مُعَلّ بالاضطراب كما تراه محققًا في الموضع المذكور .

٥ - قوله في (سورة النساء / آية ٣٤) بعد ذكر حديث : « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » : « رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه » . وعزوه إلى البخاري من هذه الطريق خطأ ؛ فإن البخاري رواه (٤٤٢٥، ٧٠٩٩) وكذا رواه الترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٨/ ٢٢٧) وأحمد (٥/ ٤٣، ٤٧، ٥١) من طرق ، عن الحسن البصري ، عن أبي بكرة به ، والحديث لم يذكره المصنف في كتابه « جامع المسانيد والسنن » المجلد (١٣) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي في كتابه « تحفة الأشراف » (٩ / ٤٤) من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، وقد استدرك ذلك المصنف نفسه فرواه على الجادة في كتابه « البداية والنهاية » (٢/ ٢٦) .

٦ - قوله (سورة النساء/ آية ٥٩) : « وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أوصاني خليلي : أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًّا مُجدّع الأطراف » رواه مسلم .

ومسلم رواه (٣٦) (١٨٣٧) من حديث أبي ذر ، ومن هذا الوجه رواه أحمد (٥/ ١٦١) وابن ماجة (٢٨٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (١١٣) ، وحديث أبي هريرة لم أهتد له .

٧ - قوله (سورة الأنعام / آية ١٢) : « ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « **إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي** »

كذا عزاه للصحيحين من هذه الطريق ، وإنما الذي أخرجه من هذا الوجه البخاري (٧٤٠٤) وحده ، ورواه مسلم (١٤: ١٦) (٢٧٥١) من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، ومن طريق الحارث بن عبد الرحمن بن ميناء ، كلاهما (الأعرج وعطاء) عن أبي هريرة به - وانظر « تحفة الأشراف » (٩/ ٣٤٦، ٣٨٤) .

٨ - ومنه قوله (سورة الأنعام / آية ١٠٣) : ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** ......» الحديث وهذا وهم ؛ لأن الحديث انفرد بروايته مسلم (٢٩٣، ٢٩٥) (١٧٩) دون البخاري ، وقد ذكر المصنف نفسه ذلك في (سورة البقرة / آية ٢٥٥) وعزاه إلى الصحيح فقط .

٩ - قوله (سورة الأعراف /آية ٨) : « ... **ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك** » .

والحديث إنما أخرجه ابن ماجة فحسب من بين أصحاب الكتب الستة ، ورواه أحمد (٥/ ٣٤٨) ضمن حديث طويل نقله المصنف في صدر تفسير سورة البقرة وعزاه إلى ابن ماجة .

١٠ - قوله (سورة الأعراف / آية ٩٥) : ثبت في الصحيحين : « **عجبًا للمؤمن لا يقضي اللَّه له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له** »

كذا عزاه للصحيحين وهو وهم ، استدركه هو نفسه عند (آية رقم ٥) من سورة إبراهيم ، وعزاه للصحيح فقط ، وهو في صحيح مسلم (٢٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب ، وقد عزاه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠ / ١٠٩) إلى مسلم فحسب ، وانظر (سورة يونس / آية ١٢) .

١٠ - ذكر حديثًا (سورة الأعراف / آية ١٥٨) بإسناد الإمام أحمد : ثنا محمد ابن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة** » .

وقال في (سورة هود / آية) : « وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر ...» فذكره .

كذا عزاه من هذا الوجه إلى صحيح مسلم !! مع أنه أورده في « جامع المسانيد والسنن » (٥ / ٢٨٤ / مخطوط) ومن قبله شيخه المزي في « تحفة الأشراف » (٦ / ٨٩٩٥) ولم ينسباه إلا إلى النسائي ، وقد أخرجه النسائي في التفسير من « السنن الكبرى » (٦/ ١١٢٤١) ولذلك أورده الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٢٦٤) . وقد روى مسلم في صحيحه (٢٤٠) (١٥٣) من طريق عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : ... فذكر حديثًا بنحو السابق .

١٢ - وأورد في (سورة هود / آية ٧) حديث عمران بن حصين مرفوعًا : «**اقبلوا البشرى يا بني تميم** ...» وقال : وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة .

والحديث أورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦/ ١٠٨٢٩) والحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » ولم ينسباه إلا إلى البخاري والترمذي والنسائي دون مسلم ، بل إن المصنف نفسه ذكره في « البداية والنهاية » (١/ ١٧) ، (٥ / ٨٢) وعزاه للمذكورين دون مسلم .

١٣ - قوله (سورة هود / آية ١١٤) : « وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أرأيتم لو أن نهرًا غمرًا** ... »

والحديث متفق عليه دون لفظة : « **نهرًا غمرًا** » فلم يخرجها إلا مسلم (٢٨٤) (٦٦٨) من حديث جابر بن عبد الله ، ورواها أحمد (٢/ ٤٢٦) من حديث أبي هريرة .

ولم يقتصر الخطأ في العزو عند ابن كثير على الصحيحين بل قد تعدى إلى غيرهما ، فمن ذلك :

أ - أنه ذكر حديثًا (سورة النساء/آية ٣١) رواه الحاكم بإسناده إلى معاذ بن هانئ ، ثنا حرب بن شداد ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه - يعني : عمير بن قتادة - رضي الله عنه - أنه حدثه وكانت له صحبة : أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : « **ألا إن أولياء الله المصلون** ... » فذكر حديثًا طويلاً .

قال ابن كثير : « هكذا رواه الحاكم مطولاً ، وقد أخرجه أبو داود والترمذي مختصرًا من حديث معاذ بن هانئ به » .

كذا قال !! والذي رواه مع أبي داود هو النسائي ، ولم يروه الترمذي ، والمصنف نفسه ذكره في « جامع المسانيد والسنن » (١٠/ ١١٤) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي في « تحفة الاشراف » (٨/ ١٠٨٩٥) والسيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٢٦٢) معزوًا إلى أبي داود والنسائي .

ب - وذكر (سورة النساء/آية ٤٣) ما رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى شعبة أخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت فيَّ أربع آيات ... الحديث .

قال ابن كثير : « والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ، ورواه أهل السنن إلا ابن ماجة من طرق عن سماك به »

كذا عزاه لأهل السنن - إلا ابن ماجة - من طريق سماك ، والذي رواه من هذه

الطريق هو الترمذي (٣١٨٩) فحسب ، ورواه أبو داود (٢٧٤٠) والنسائي في « الكبرى » (٦/ ١١١٩٦) وكذا الترمذي (٣٠٧٩) من طرق عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد به مختصرًا ، وقد استدرك المصنف نفسه هذا الخطأ عند فاتحة سورة الأنفال ، وانظر أيضًا « تحفة الأشراف » (٣ / ٣٩٣٠) .

ج – ومنه قوله (سورة النساء / آية ٤٣) : « .... ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة ، عن عمرو بن بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **الصعيد طهور المسلم** ...»

كذا عزاه هنا لأهل السنن ولم يخرجه من بينهم ابن ماجة ، وقد استدرك هو نفسه ذلك بعد عدد من الصفحات (رقم ٤٩٥) فقال : « رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجة » .

د – ومنه قوله (سورة الأنعام / آية ١٢١) : « واحتج لهذا المذهب – وهو : إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانًا لم يضر ، وإن تركها عمدًا لم تحل – بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجة عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله ابن عمر عن النبي ﷺ : « **إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** »

وابن ماجة لم يرو حديث عقبة بن عامر وحديث عبد الله بن عمر . انظر تخريجهما في الموضع المذكور .

هـ – وذكر (سورة الأعراف/آية ٢٠٢) ما رواه أبو بكر بن مردويه بإسناده إلى محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف ، فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يشفيني ، فقال : « **إن شئت دعوت الله فشفاك** .....» الحديث .

قال ابن كثير : « رواه غير واحد من أهل السنن وعندهم ...» .

والذي رواه من أهل السنن هو النسائي فحسب ، فرواه في السنن الكبرى (٤/ ٧٤٩٠) من حديث ابن عباس ، وكذا أخرج حديث ابن عباس البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٥٤) (٢٥٧٦) .

و – ومنه قوله (سورة هود/آية ١٧) : « وفي المسند والسنن : « **كل مولود يولد على هذه الملة ، حتى يُعرب عنه لسانه** » وهذا لم يعزه المزي في التحفة (١/ ٧٠) إلا إلى النسائي في السير (٥/ ٨٦١٦) من الكبرى بلفظ آخر من حديث

الأسود بن سريع .

ثانيًا : الخطأ في تسمية الصحابي الذي روى الحديث ، أو نسبة الحديث إلى الصحابي ولم يكن له في الباب شيء .

فمن الأول :

قوله في (سورة يوسف / آية ٥، ٤١) : « وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حَيْدَة القشيري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر ، فإذا عبرت وقعت** » .

كذا جعله من مسند معاوية بن حيدة وقد رواه أحمد (٤ / ١٠، ١٢، ١٣) وعنه أبو داود (٥٠٢٠) والترمذي (٢٢٧٩، ٢٢٨٠) وابن ماجة (٣٩١٤) وغيرهم من حديث أبي رزين العقيلي . وذكره المصنف نفسه في كتابه « جامع المسانيد » (٣ / ورقة - ١٧) في مسند أبي رزين ولم يذكره في مسند معاوية بن حيدة .

ومن الثاني :

قوله (سورة النساء / آية ٥٨) : « وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك** » .

ولم أجد لسمرة رواية في هذا الباب ، وإنما أخرجه ابن جرير (٨ / ٩٨٥٠) بإسناد صحيح عن الحسن مرسلًا ، ويحتمل أن المصنف أو الناسخ زاد : « سمرة » سهوًا لشهرة الخلاف الواقع في رواية الحسن عن سمرة ، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة . انظر حاشية الموضع المذكور .

ثالثًا : الخطأ الواقع في الأسانيد فمن ذلك :

١ - ما ذكره (سورة النساء/آية ٤٣) عن ابن جرير في تفسيره (٨/ ٩٥٨١) حدثني حميد بن مسعدة ، حدثنا يزيد بن زريع ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي : ليس بالجماع . . .» فذكر الخبر ، ثم قال الحافظ ابن كثير : « ثم رواه عن ابن بشار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه . . . »

والذي في تفسير ابن جرير من هذه الطريق أن شعبة رواه عن : « أبي قيس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به » .

٢ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام/آية ٥٩) عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى مالك بن

سعير ، ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد اللّه بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي اللّه بعلمها . . . »

قال ابن كثير : « وكذا رواه ابن جرير (١١/١٣٣٠٨) : « زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب » وفي الحاشية للشيخ شاكر قال : جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير : « زياد بن عبد اللّه الحساني أبو الخطاب » وهوخطأ لا شك فيه ؛ فإن الذي يروي عن مالك بن سعير ، هو زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب فضلاً عن أنه ليس في الرواة من يسمى : زياد بن عبد اللّه الحساني أبو الخطاب .

٣ - ومنه أنه ذكر (سورة الأنعام/آية٦٥) حديثًا من رواية الإمام أحمد بإسناده إلى معاذ بن جبل قال : أتيت رسول اللّه ﷺ أطلبه . . . . وفيه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **إني صليت صلاة رغبة ورهبة** . . . »

قال ابن كثير : « ورواه ابن مردوية من حديث أبي عوانة ، عن عبد اللّه بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل . . . »

فقوله : « عن عبد اللّه بن عمير » خطأ وصوابه : « عبد الملك بن عمير » إذ ليس في الرواة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى من اسمه هكذا . وقد جاء الإسناد على الصواب في المسند (٥/٢٤٣ ، ٢٤٧) .

٤ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام/آية ١١٢) عن ابن جرير في تفسيره (١٢/ ١٣٧٦٩ » ثنا المثنى ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي عبد اللّه محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن بن عائذ ، عن أبي ذر قال : أتيت رسول اللّه ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس . . . الحديث .

كذا كنى هنا « محمد بن أيوب » بـ « أبي عبد اللّه » وكذا هو في تفسير ابن جرير ، قال الشيخ الأديب محمود شاكر في حاشيته على تفسير ابن جرير (١٢/ ٥٤) : « أبو عبد اللّه محمد بن أيوب كأنه خطأ من الناسخ ، وصوابه أبو عبد الملك محمد بن أيوب قال البخاري في « التاريخ الكبير » (١/١/٢٩ ، ٣٠) : « محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدي ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر . . . . . وترجمه ابن أبي حاتم (٣/٢/١٩٦ ، ١٩٧) فذكر مثله .

قلت : وجاء على الصواب في رواية ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/١٦٧/ مخطوط) .

٥ - ومنه أنه ذكر (سورة الأعراف /آية ٧٠) حديثًا من رواية الإمام أحمد ، ثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلاّم بن سليمان النحوي ، ثنا عاصم بن أبي

النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ . . . فذكر حديثًا طويلاً .

قال الحافظ ابن كثير : « ورواه الترمذي ، عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلَّام أبي المنذر ، عن عاصم - وهو ابن بهدلة - ومن طريقه رواه ابن ماجة أيضًا عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري به » اهـ .

ورواية ابن ماجة ليس فيها أبو وائل ، وانظر « تحفة الأشراف » (٣/ رقم ٣٢٧٧).

٦ - ومنه ما نقله (سورة الأعراف /آية ١٤٣) عن ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٥٠٨٧) حدثني المثنى ، ثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ قال هكذا بأصبعه ووضع النبي ﷺ أصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل .

كذا نقل المصنف عن ابن جرير هذا الإسناد ، والذي في تفسير ابن جرير : « . . . ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ونقل الأديب محمود شاكر في الحاشية هذا الإسناد عن هذا الموضع ثم قال : « وليس ذلك كما نقل ، فإن الثابت في المخطوطة والمطبوعة : حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ليس فيها « ليث » فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين » .

ثالثًا : التقصير في العزو :

فمن ذلك :

* ما ذكره (سورة آل عمران /آية ١٨٠) من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « **لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إلا دعي له يوم القيامة شجاعًا ، يتلمظ فضله الذي منع** » واقتصر على عزوه لابن جرير وابن مردويه ، مع أن الحديث رواه أحمد (٥/ ٢ ، ٣ ، ٥) وأبو داود (٥١٣٩) والنسائي (٥/ ٨٢) وغيرهم ممن هم أولى أن يعزى إليهم الحديث .

رابعًا : السهو في نقل بعض كلام الأئمة :

فمن ذلك :

١ - ما ذكره (سورة الأنعام /آية ١٠٣) أن الحاكم وغيره قد رووا من طريق الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى . . . .

ثم نقل ابن كثير عن الحاكم قوله : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »

والذي في جميع نسخ الحاكم أنه قال عقبه : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وهذا أشبه منه ، وإن كان فيه تساهل بيِّن ؛ حيث رواه الحاكم من طريق إبراهيم بن الحكم ابن أبان ، حدثني أبي به . وإبراهيم هذا ضعفه الجمهور ، ولذا تعقب الحاكمَ الذهبيُّ في حكمه السابق ، فقال : بل إبراهيم متروك » . قلت : ولم يخرج الشيخان له ولا لأبيه شيئًا .

٢ - ومن ذلك أنه ذكر (سورة الأعراف /آية ٨) حديث البطاقة المشهور ثم قال عقبه : « رواه الترمذي وصححه » .

والثابت عند الترمذي في جامعه (٢٦٣٩) أنه قال : « حسن غريب » وكذا هو في « تحفة الأشراف » (٦/٢٥٠٣) وهو ما نقله المصنف نفسه في تفسيره (سورة الأنبياء /آية ٤٧) .

نماذج من
صور النسخ الخطية

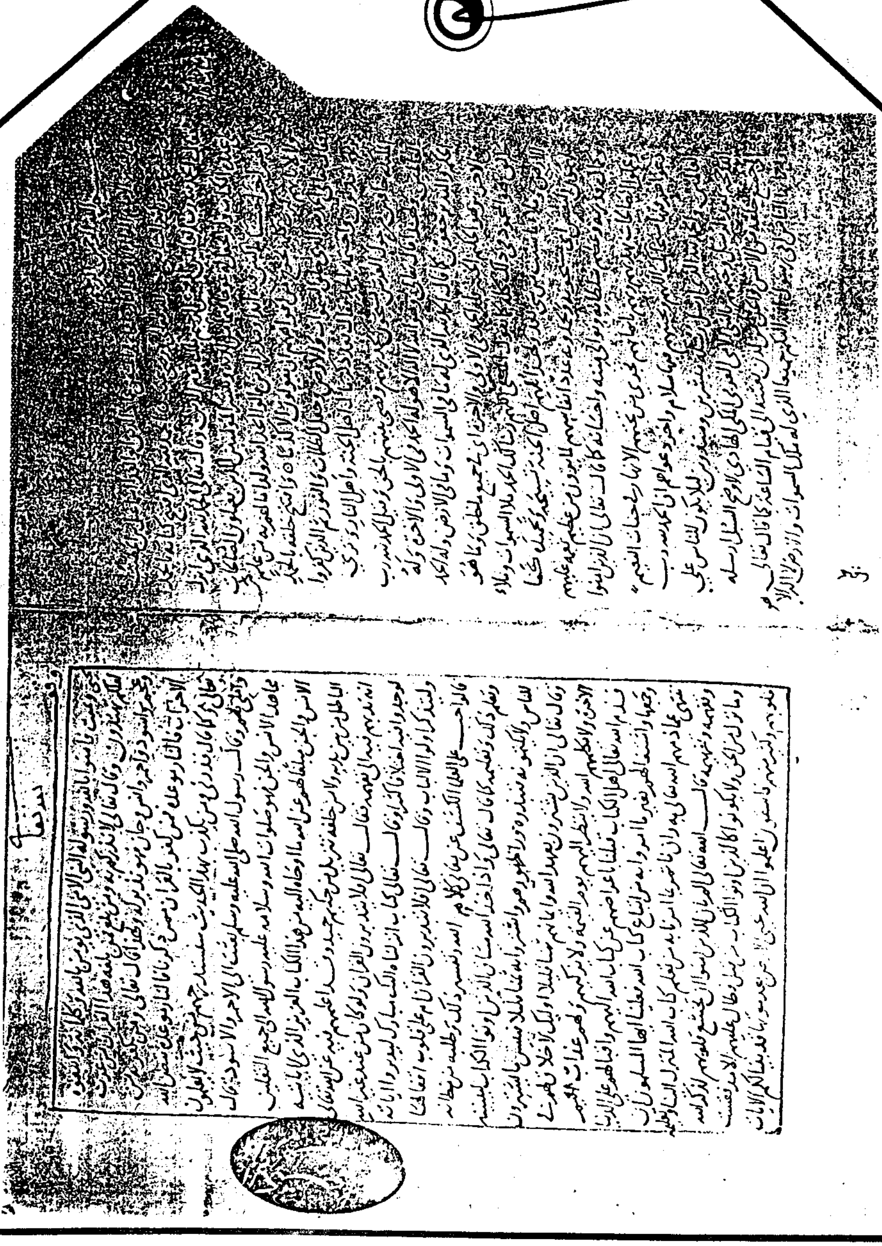

اللوحة الأولى من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

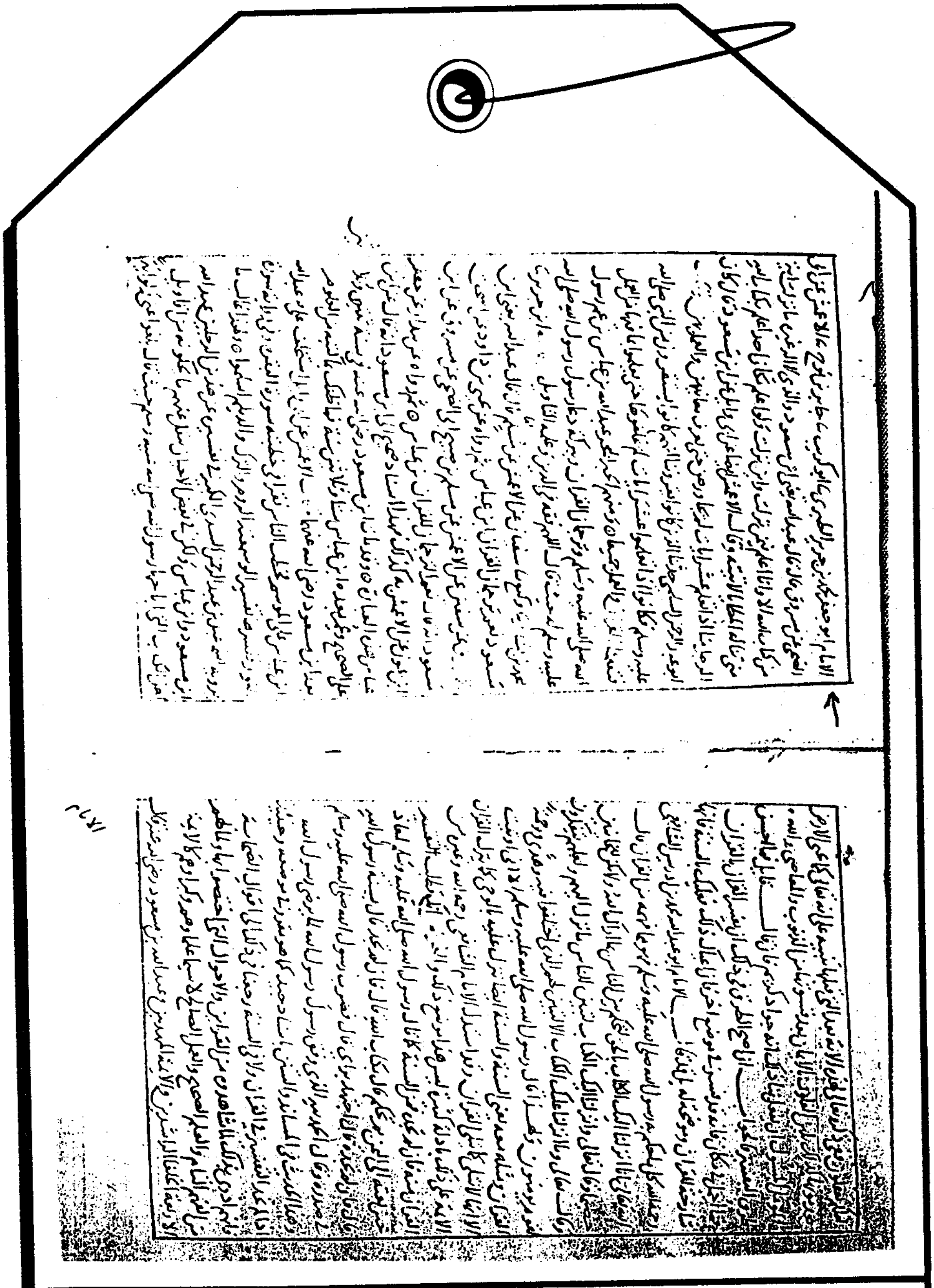

اللوحة الثانية من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلينا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول
في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغربة والغلمة رواه ابن ابي
حاتم قال الله نعم وفي الحديث الاخر قال الله قد فعلت وقوله واعف عنا
اي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا واغفر لنا اي فيما بيننا وبين
عبادك فلا تظهرهم على مساوينا واعمالنا القبيحة وارحمنا اي فيما يستقبل فلا
توقعنا بتوفيقك في ذنب اخر ولهذا قالوا ان الذنب يحتاج الى ثلثة اشيا ان
يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وان يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وان
يعصمه فلا يوقعه في نظيره وقد تقدم في الحديث ان الله قال نعم وفي الحديث
الاخر قال الله قد فعلت وقوله انت مولانا اي انت ولينا وناصرنا وعليك
توكلنا وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة لنا الا بك فانصرنا
على القوم الكافرين اي الذين جحدوا دينك . وانكروا وحدانيتك وعبدوا
غيرك واشركوا معك من عبادك فانصرنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم
في الدنيا والاخرة قال الله نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس
قال الله قد فعلت وقال ابن جرير حدثني المثنى بن ابرهيم ثنا ابو نعيم ثنا سفيان
عن ابي اسحق ان معاذا رضي الله عنه كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا على
القوم الكافرين قال امين ورواه وكيع عن سفيان عن ابي اسحق عن رجل عن
معاذ بن جبل انه كان اذا ختم البقرة قال امين ۝ اخر تفسير سورة البقرة
ولله تعالى الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة
وحسبنا الله ونعم الوكيل

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة الأزهرية

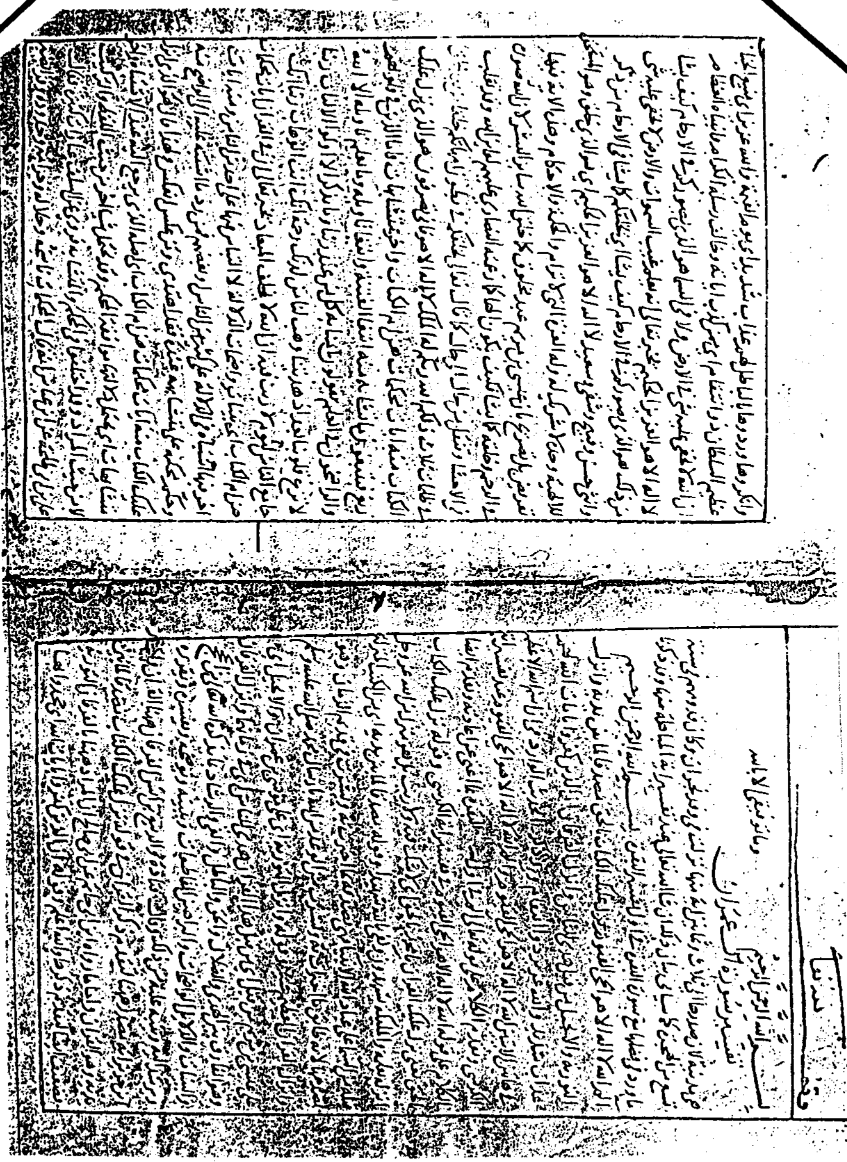

اللوحة الأولى من الجزء الثاني من النسخة الأزهرية

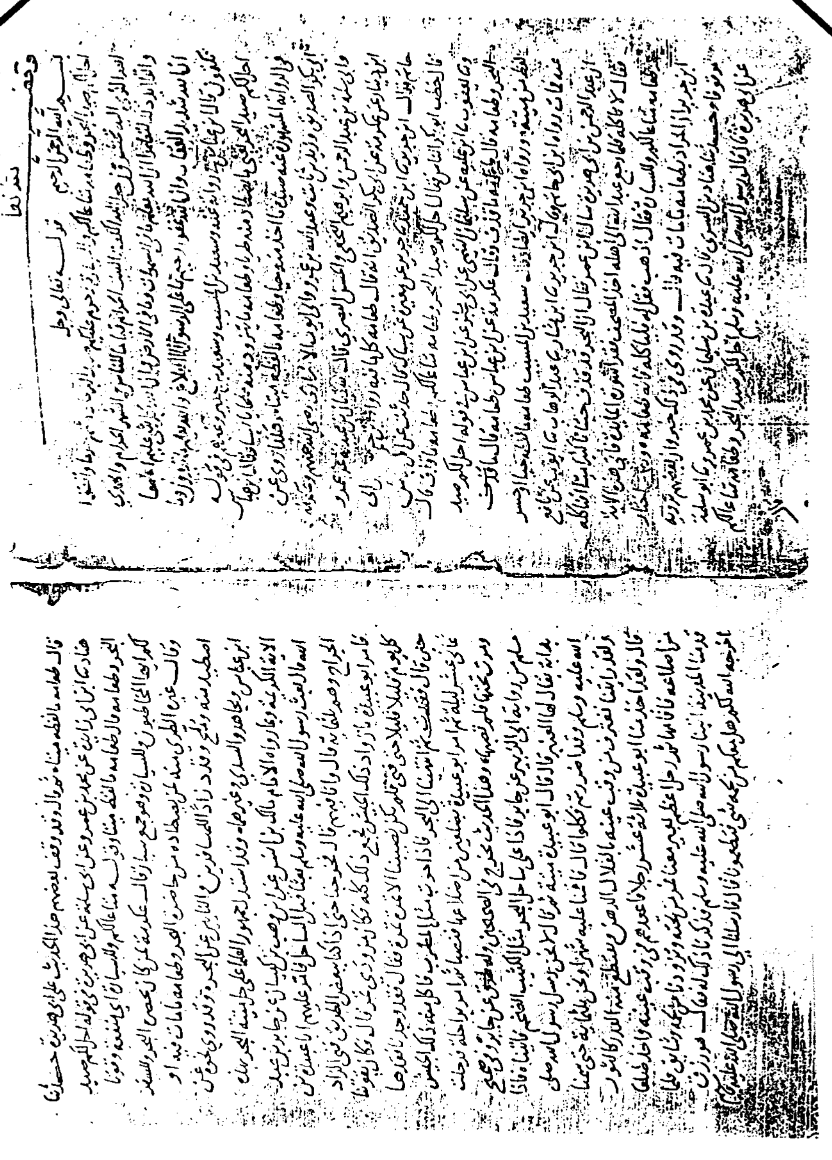

اللوحة الأولى من الجزء الثالث من النسخة الأزهرية

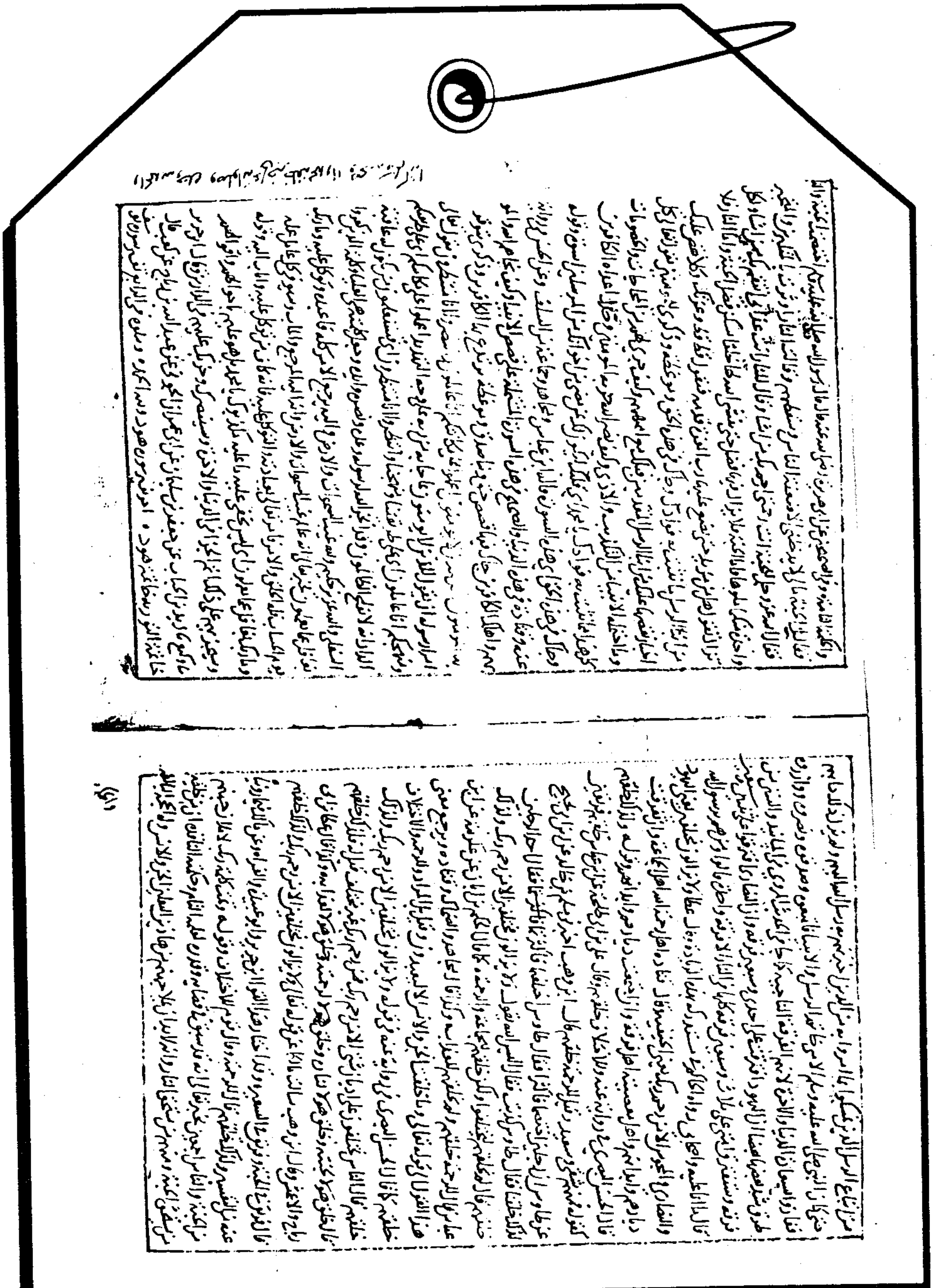

اللوحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة الأزهرية

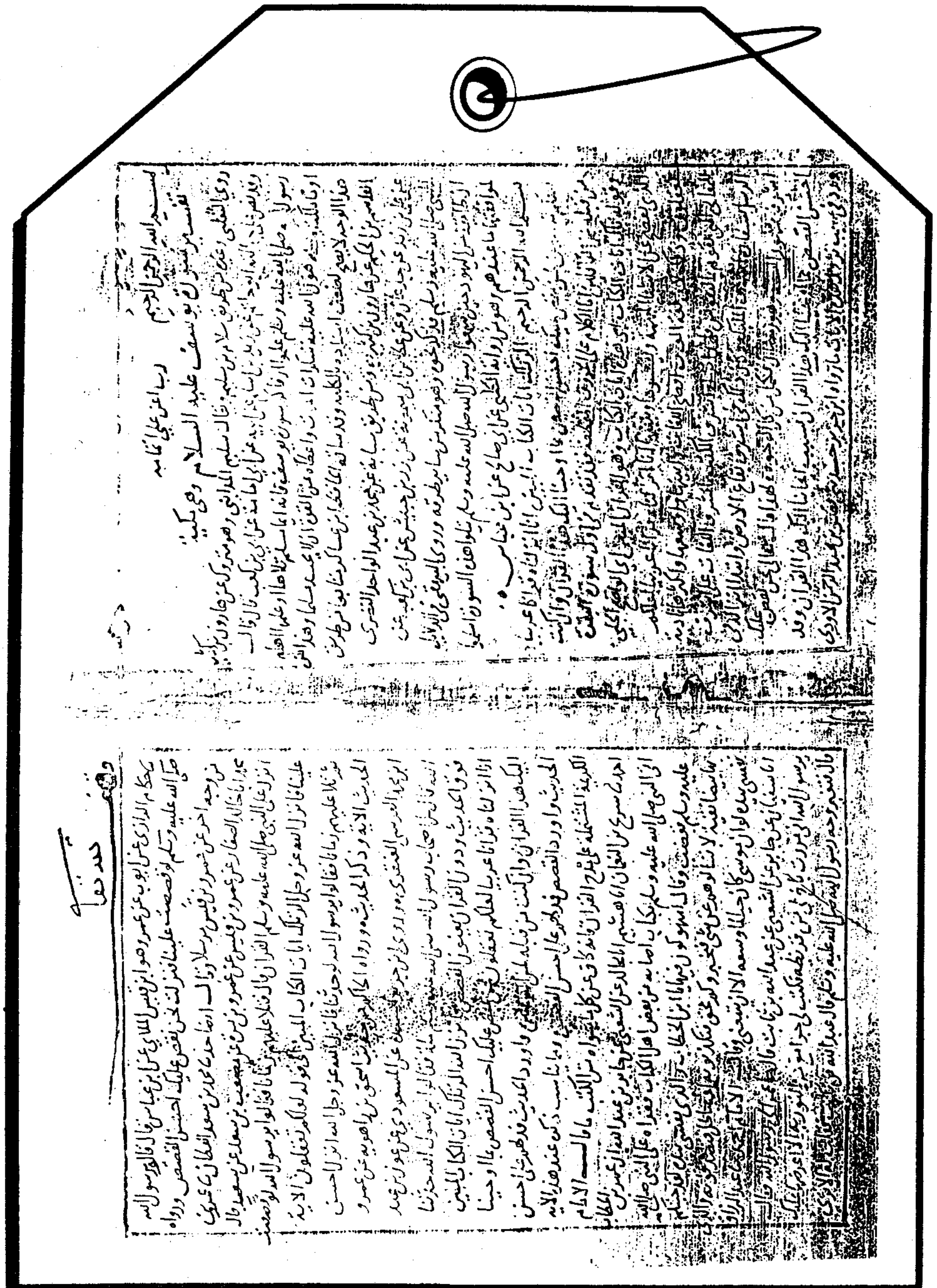

اللوحة الأولى من الجزء الرابع من النسخة الأزهرية

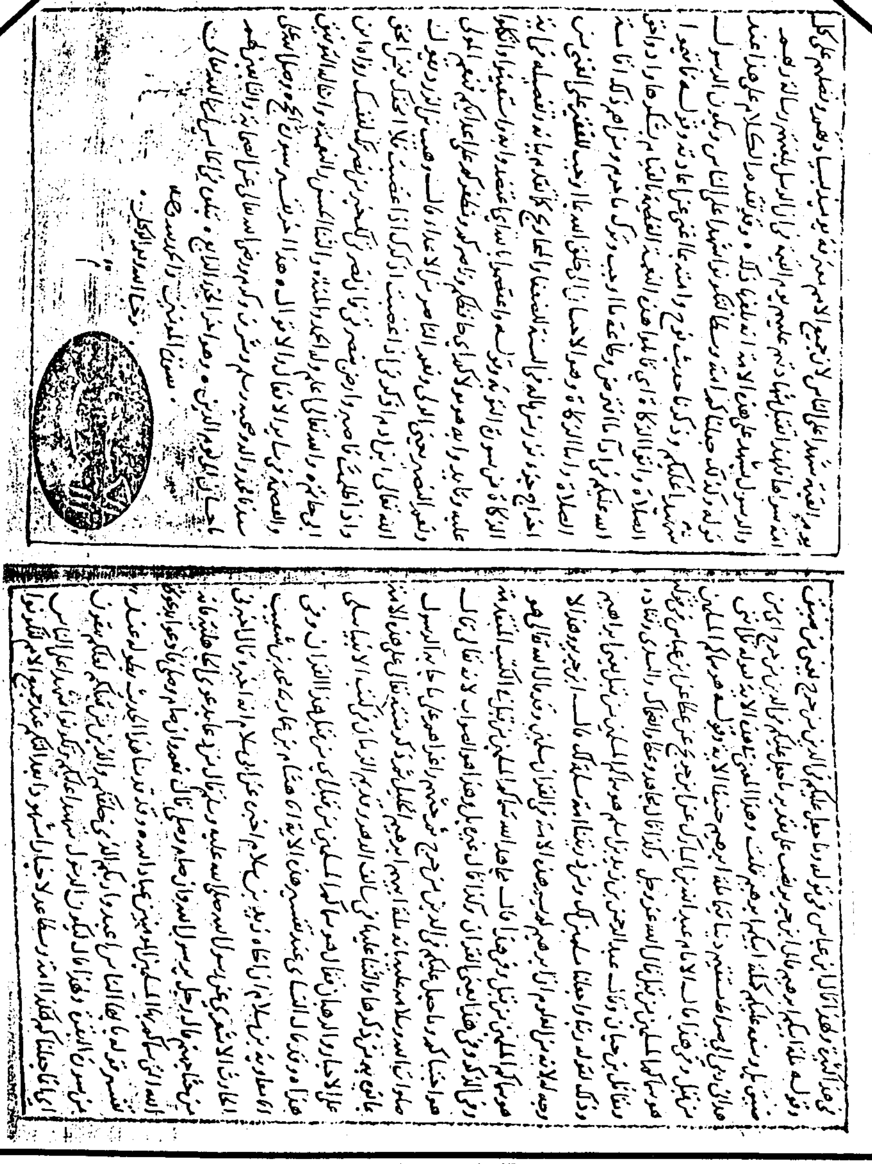

اللوحة الأخيرة من الجزء الرابع من النسخة الأزهرية

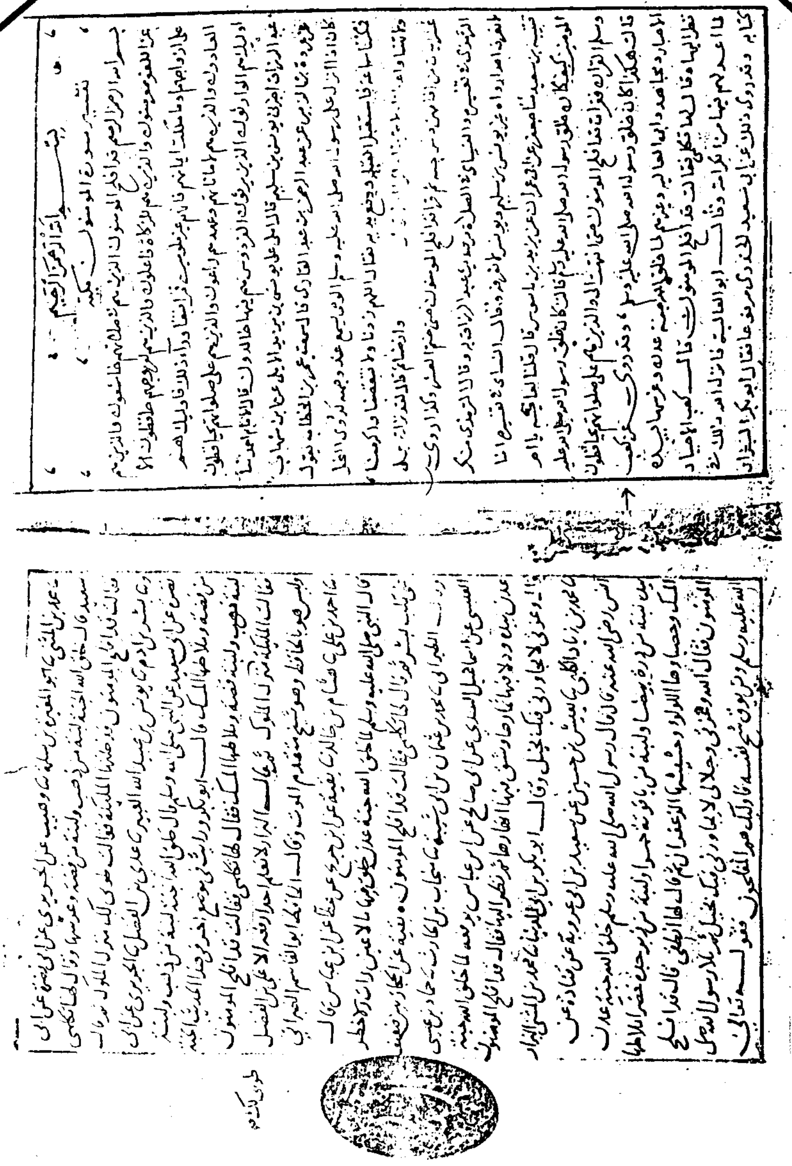

اللوحة الأولى من الجزء الخامس من النسخة الأزهرية

في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم
وللكافرين امثالها فخليت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد
كمال القوة وكثرة العدد والعدد وكثرة الاموال والاولاد فما اغنى ذلك شيئا
ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء امر ربك لانه تعالى لا يعجزه شيء اذا اراد
كونه في السموات والارض انه كان عليما قديرا اي عليم بجميع الكائنات قدير على
مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة اي لو اخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع اهل الارض وما يملكونه من
دواب وارزاق قال ابن ابي حاتم ثنا احمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان
الثوري عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال كاد الجعل ان يعذب
في جحره بذنب ابن ادم ثم قرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله ما ترك على ظهرها من
دابة اي لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
اي ولكن ينظرهم الى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي
بالثواب اهل الطاعة وبالعقاب اهل المعصية ولهذا قال تعالى فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا آخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنة

وهو آخر الجزء الخامس يتلوه ان شاء الله تعالى

في اول السادس تفسير سورة يس

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين

اللوحة الأخيرة من الجزء الخامس من النسخة الأزهرية

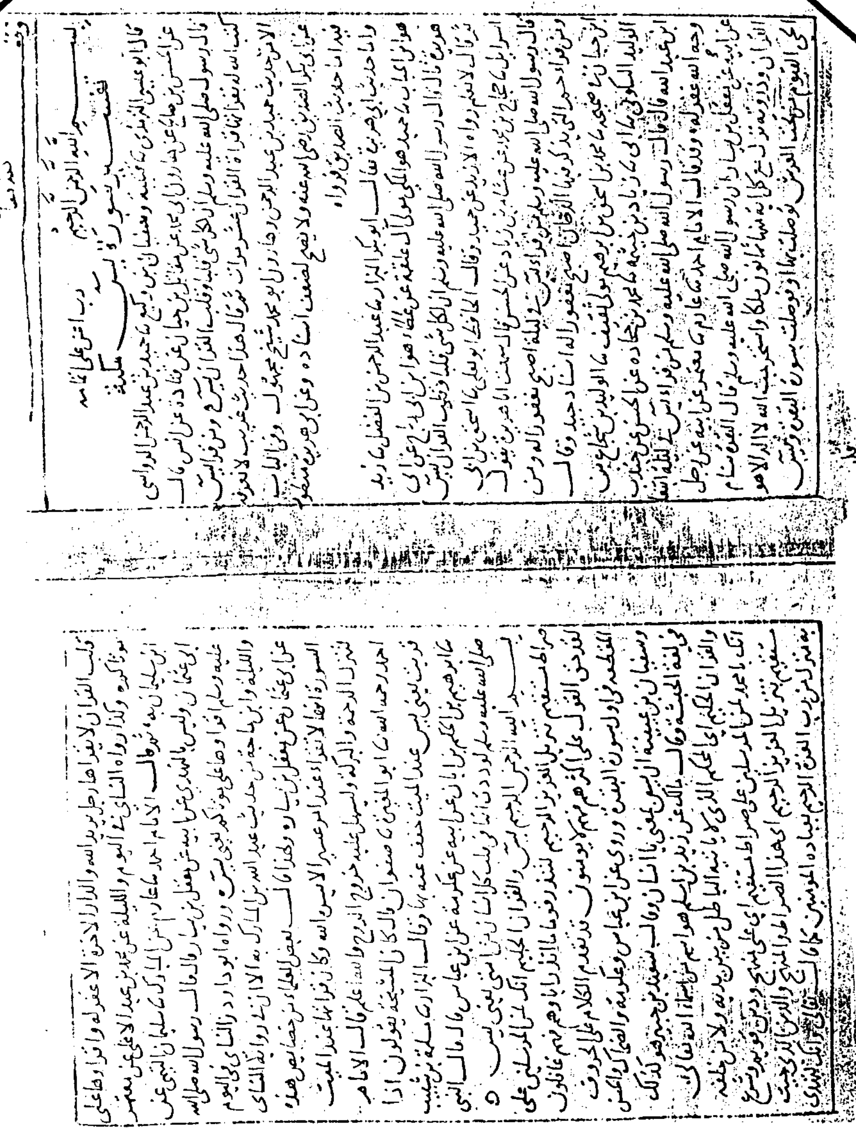

اللوحة الأولى من الجزء السادس من النسخة الأزهرية

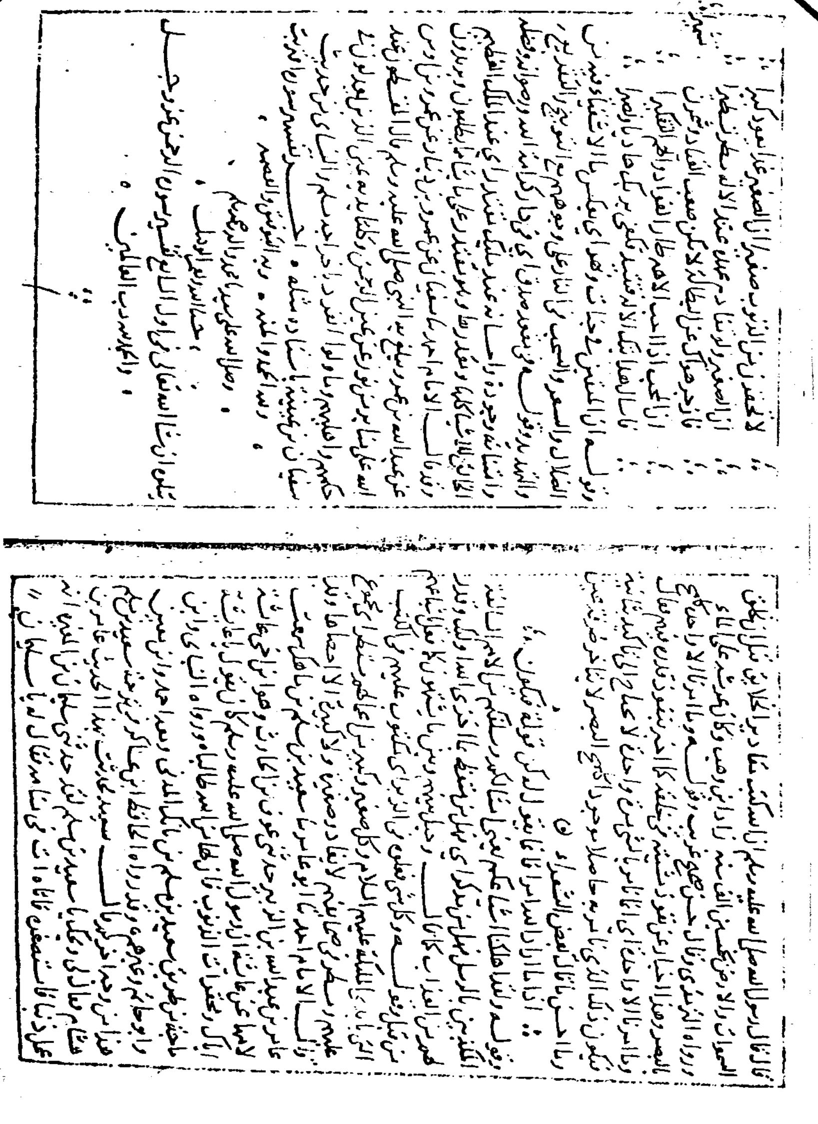

اللوحة الأخيرة من الجزء السادس من النسخة الأزهرية

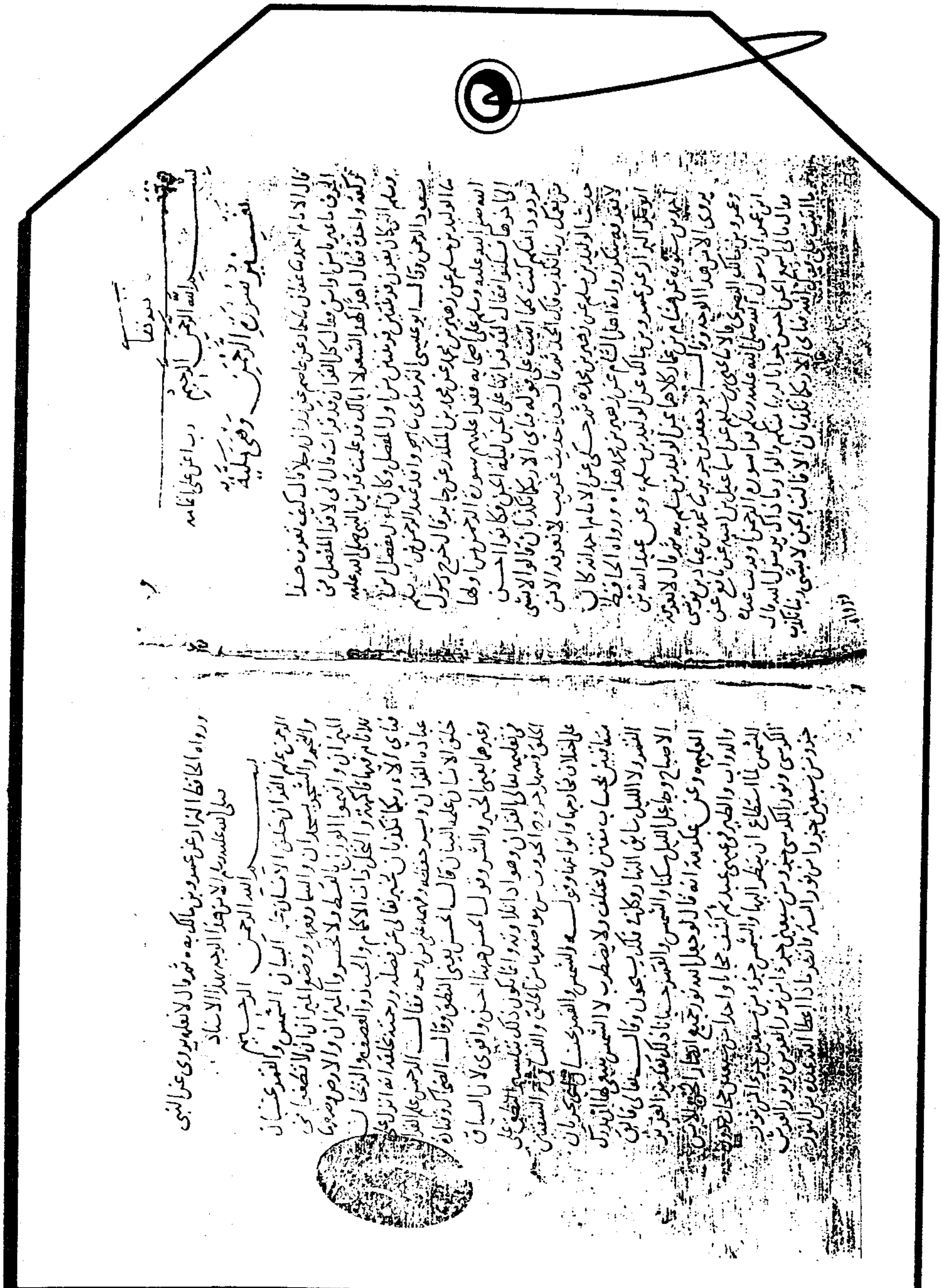

اللوحة الأولى من الجزء السابع من النسخة الأزهرية

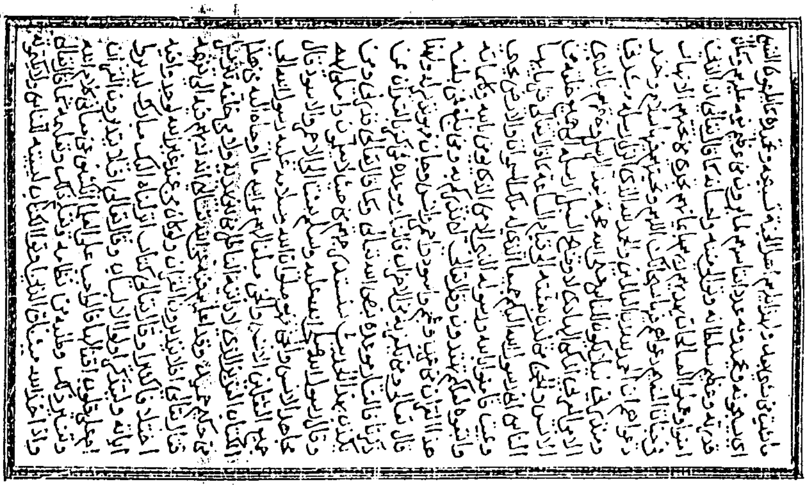

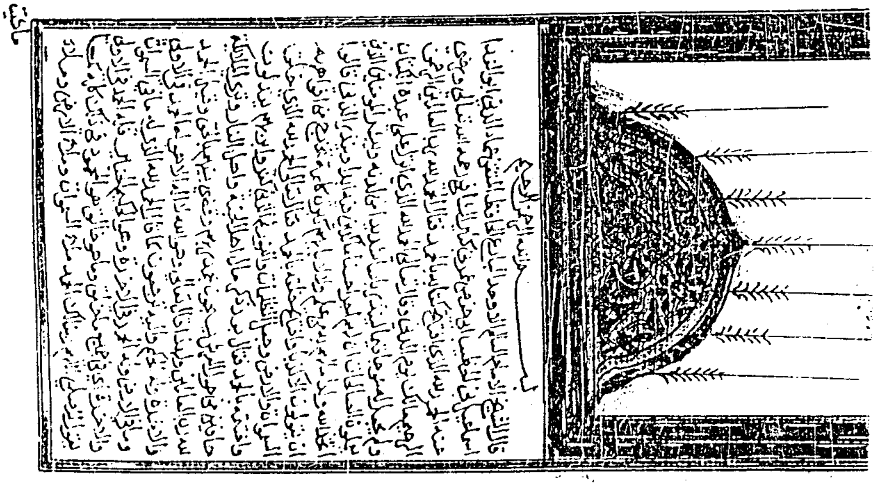

اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسخة دار الكتب المصرية

به بينهم واذ يبعثهم فلا يوفقه في نظيره وقد تقدم في الحديث ان الله قال
نعم وفي الحديث الاخر قال الله قد فعلت وقوله انت مولانا اي انت ولينا
وناصرنا وعليك توكلنا وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة لنا الا بك فانصرنا على القوم الكافرين اي الذين جحدوا دينك
وانكروا وحدانيتك وعبدوا غيرك واشركوا معك من عبادك
فانصرنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والاخرة قال الله
نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد
فعلت وقال ابن جرير حدثني المثنى بن ابراهيم حدثنا ابو
نعيم حدثنا سفيان عن ابي اسحاق ان معاذا رضي
الله عنه كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا
على القوم الكافرين قال امين ورواه وكيع عن
سفيان عن رجل عن معاذ بن جبل انه كان
اذا ختم البقرة قال امين اخر
تفسير سورة البقرة ولله تعالى
الحمد والمنة وبه التوفيق
والعصمة وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
وصلى الله
على سيدنا
محمد

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة دار الكتب المصرية

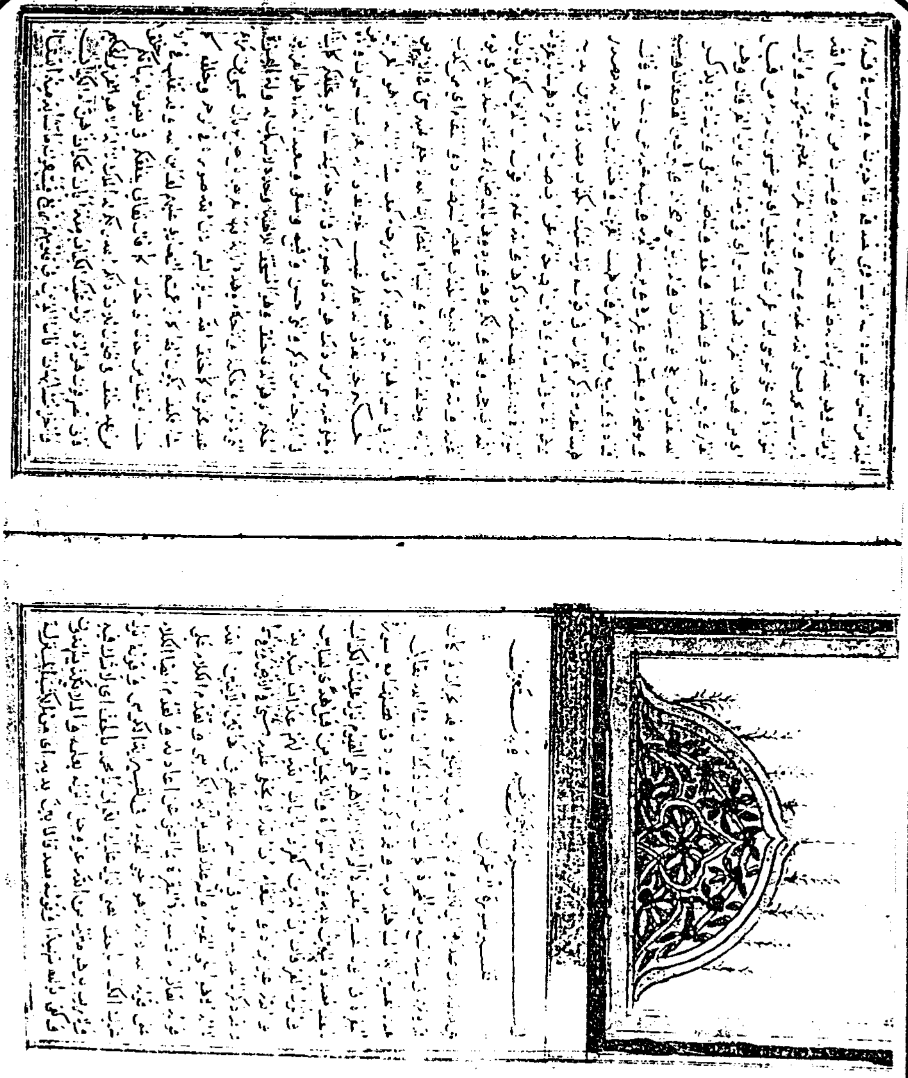

اللوحة الأولى من الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية

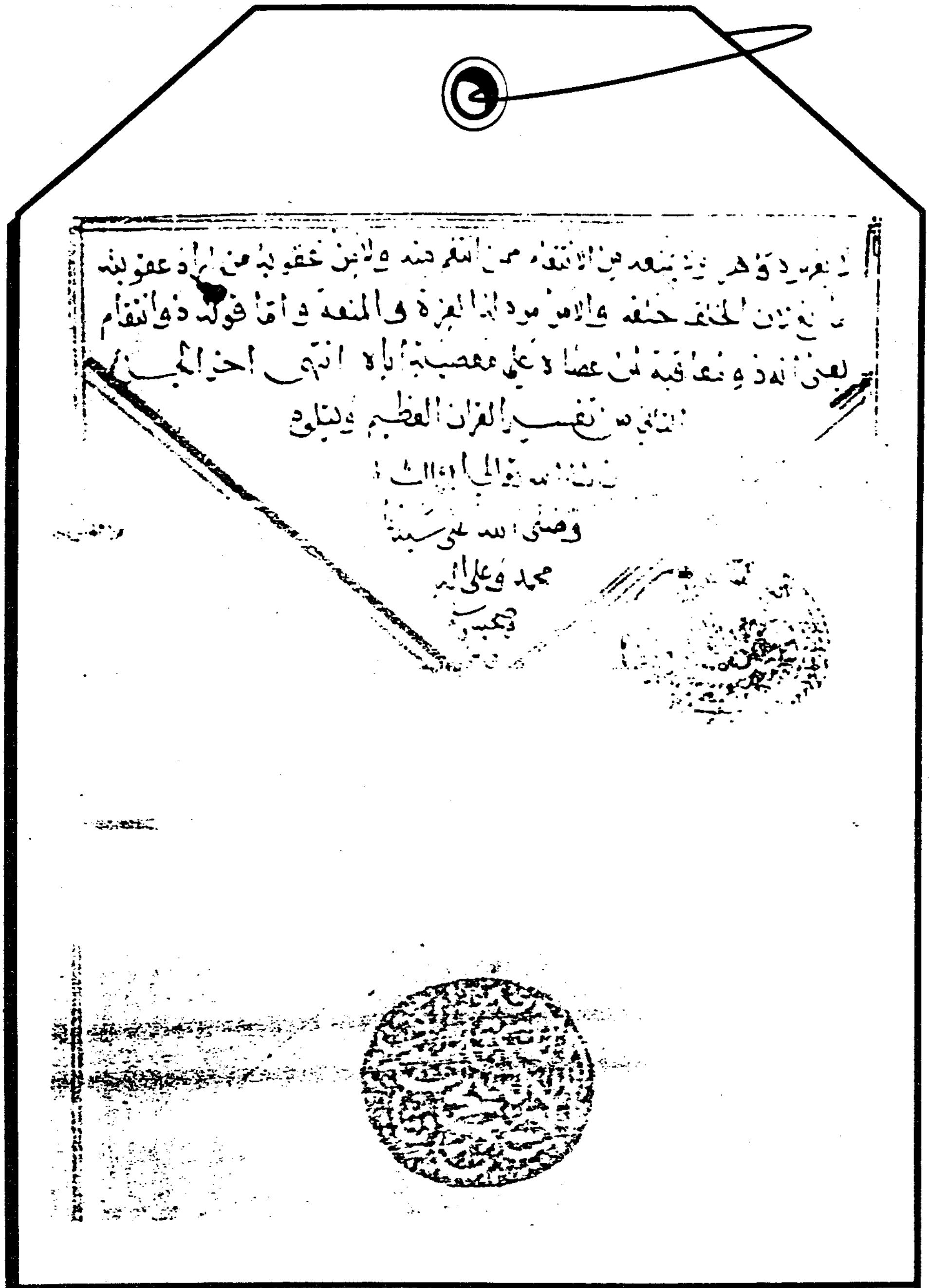

اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية

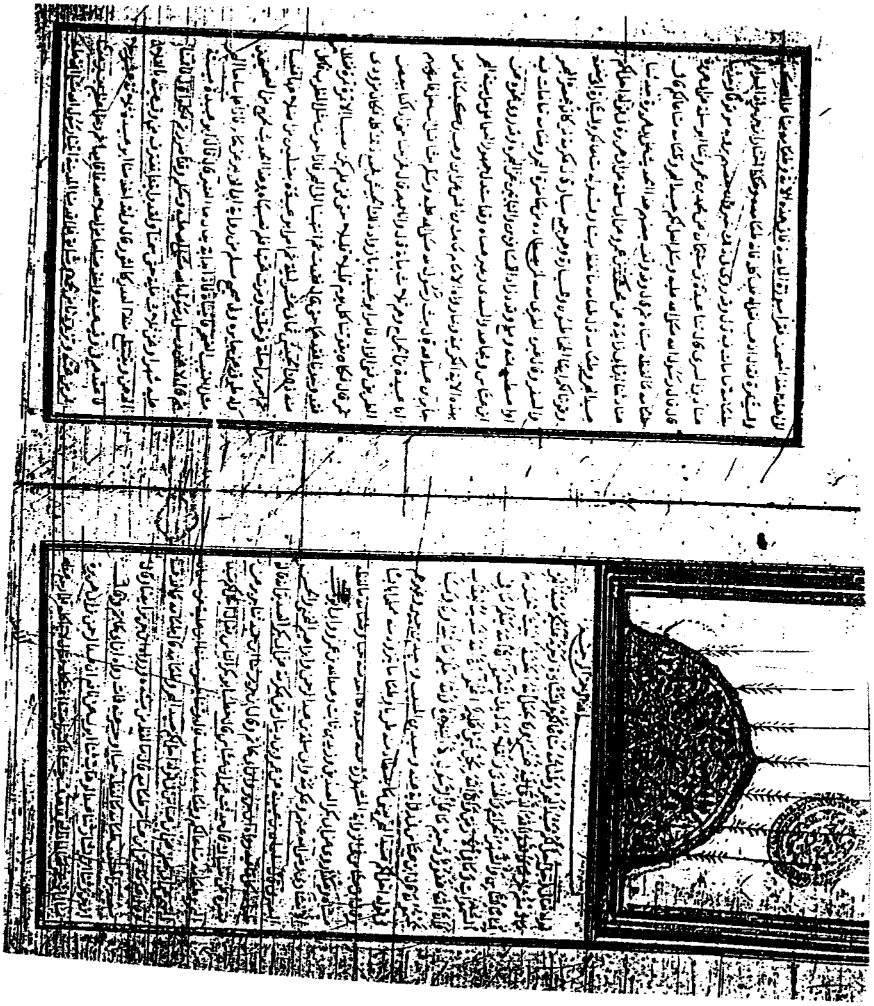

اللوحة الأولى من الجزء الثالث من نسخة دار الكتب المصرية

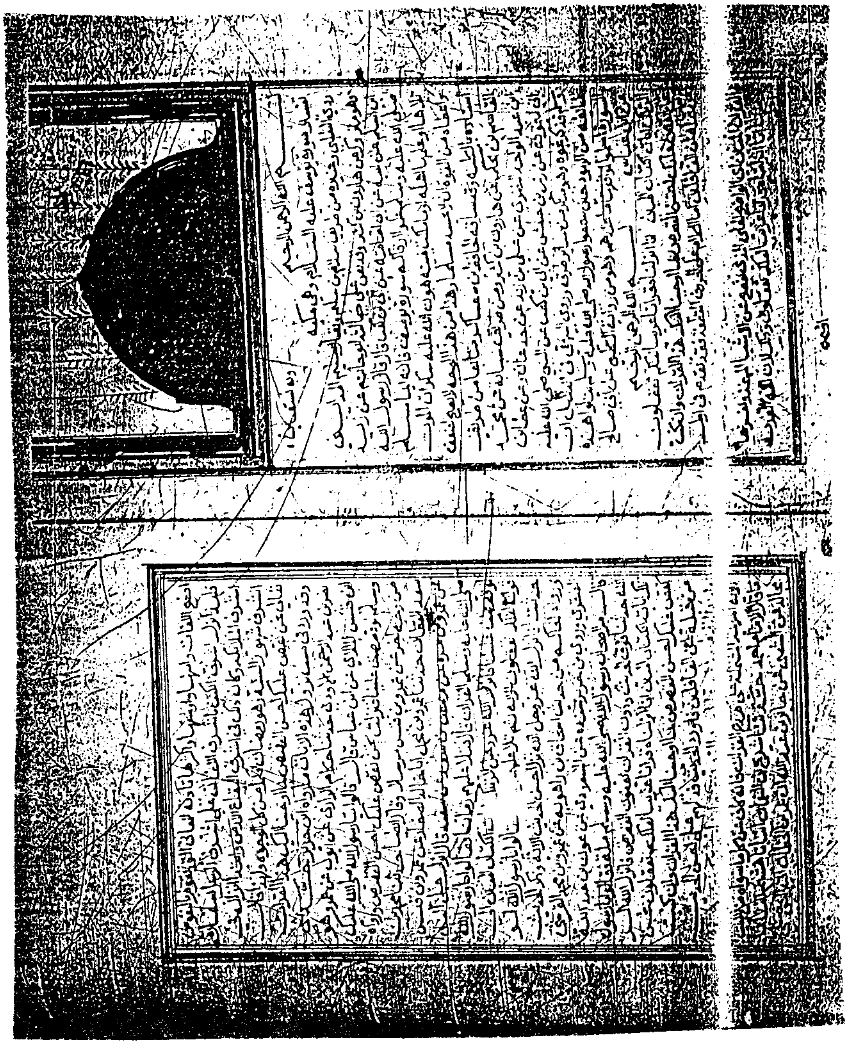

اللوحة الأولى من الجزء الرابع من نسخة دار الكتب المصرية

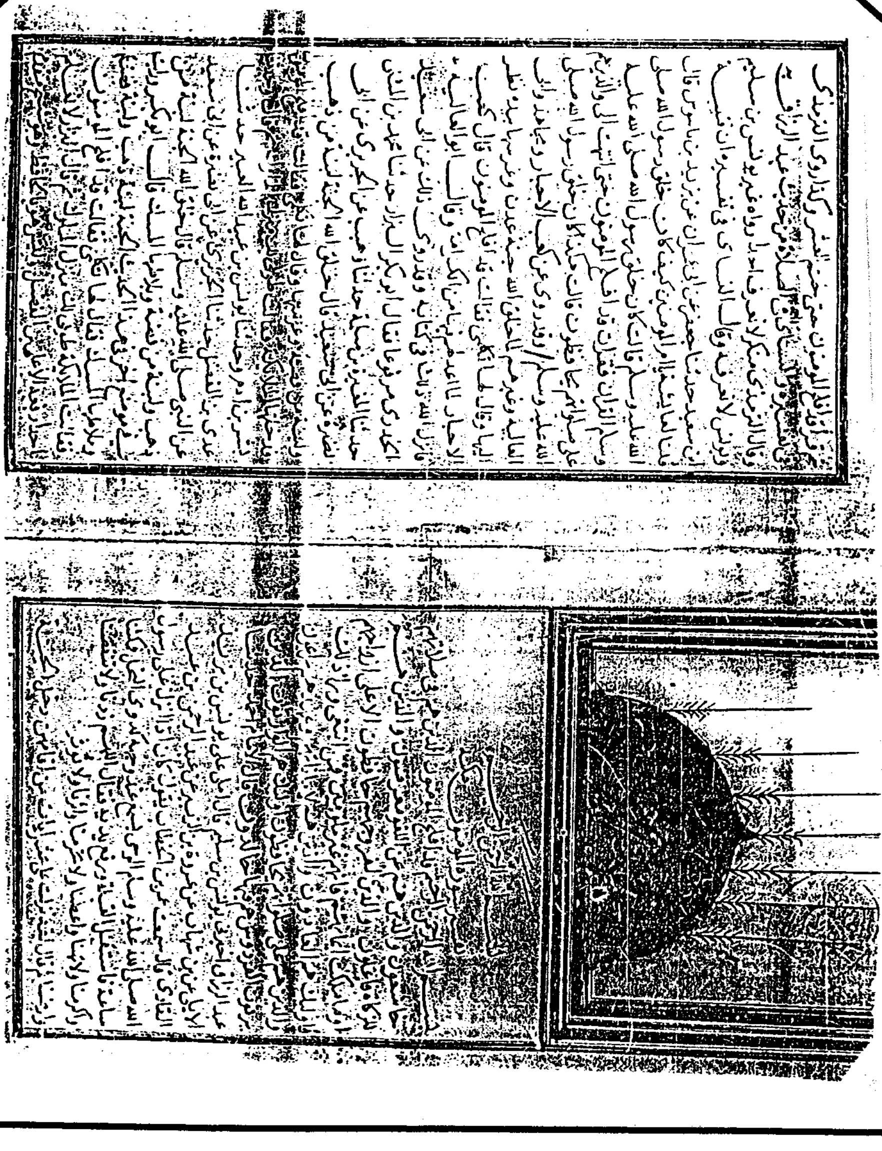

اللوحة الأولى من الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية

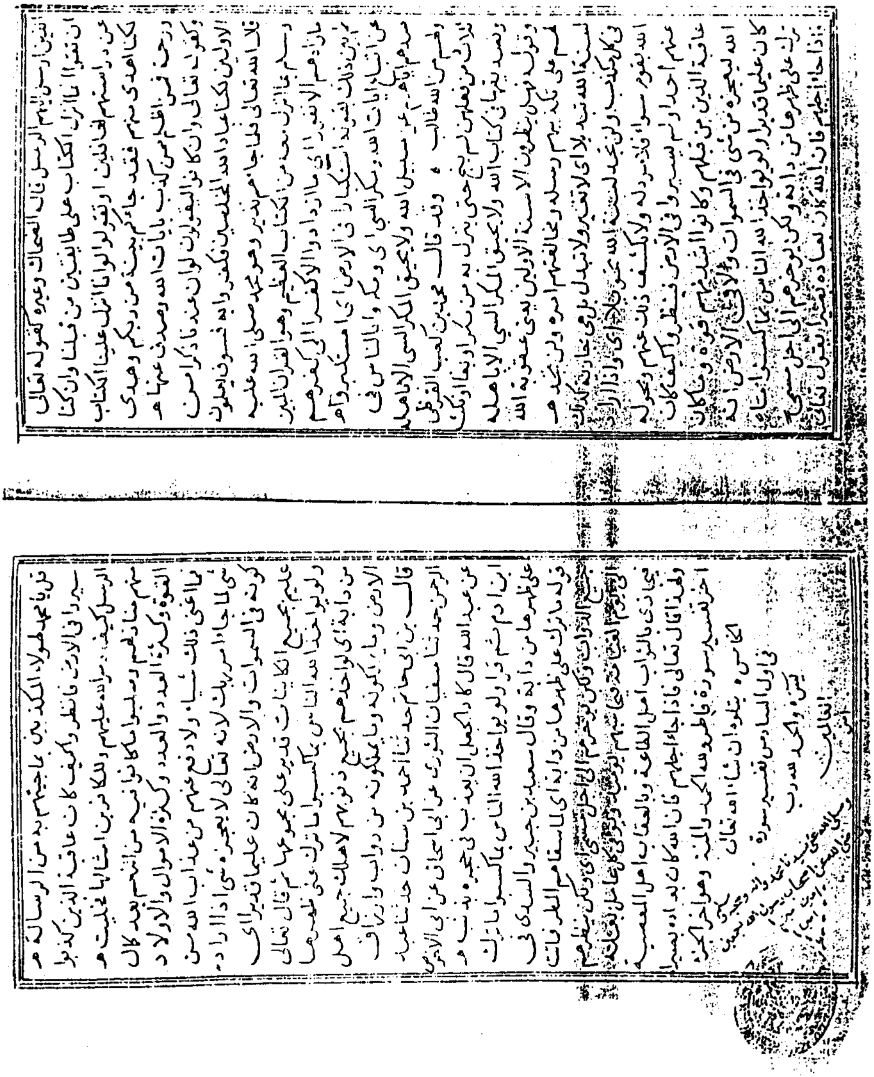

اللوحة الأخيرة من الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية

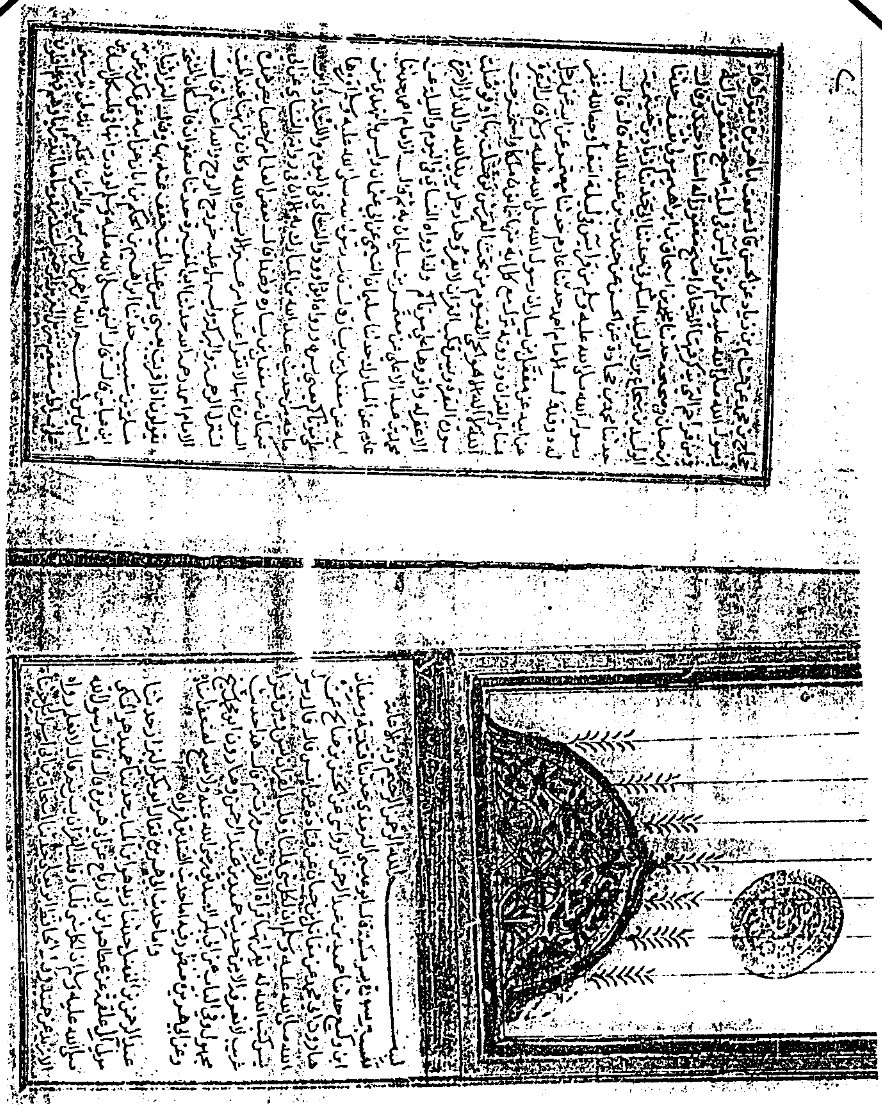

اللوحة الأولى من الجزء السادس من نسخة دار الكتب المصرية

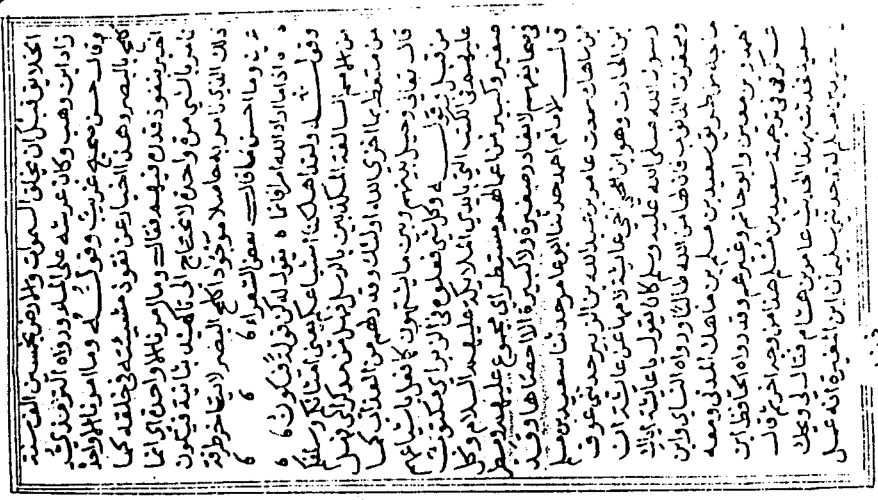

اللوحة الأخيرة من الجزء السادس من نسخة دار الكتب المصرية

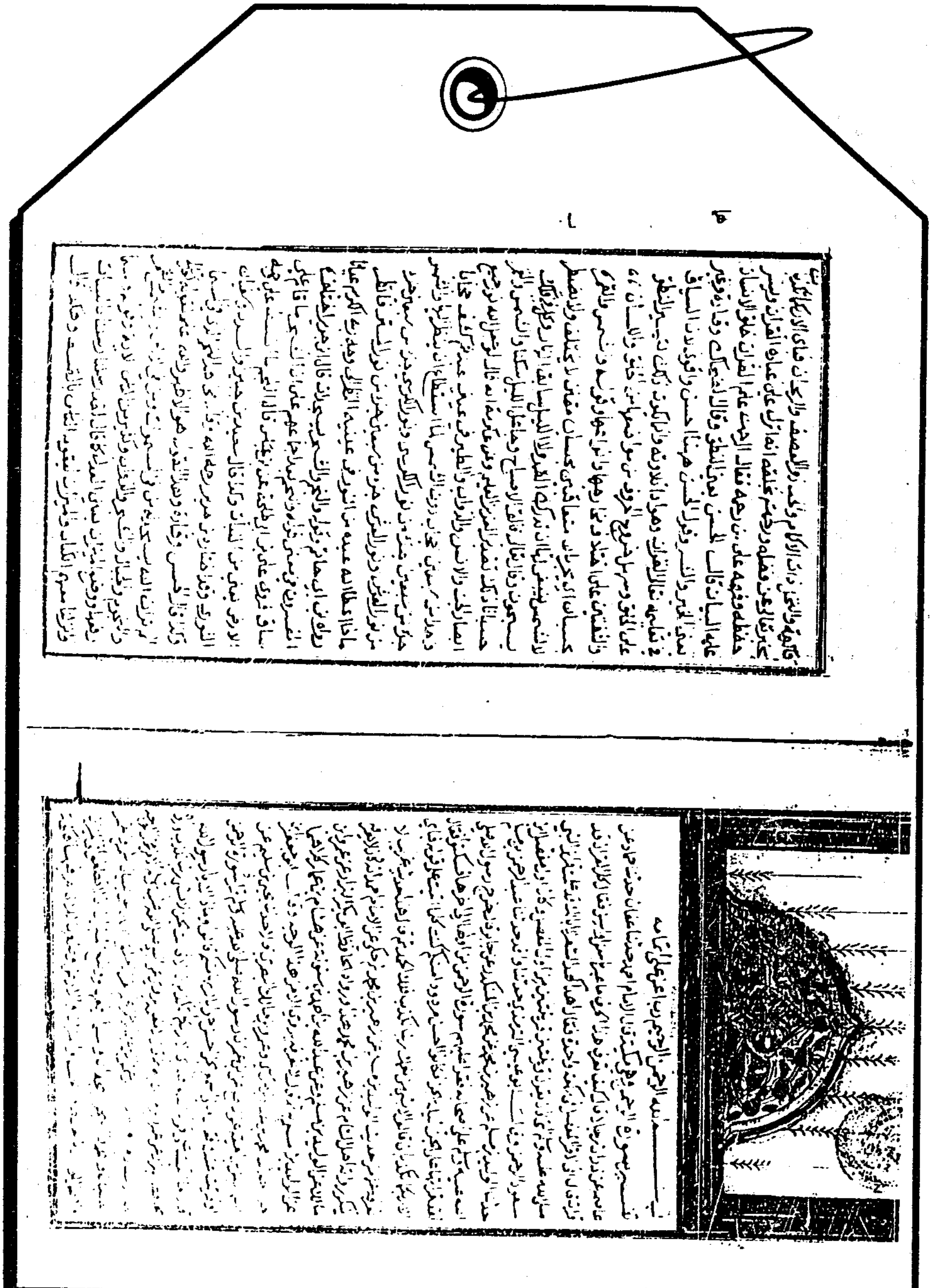

اللوحة الأولى من الجزء السابع من نسخة دار الكتب المصرية

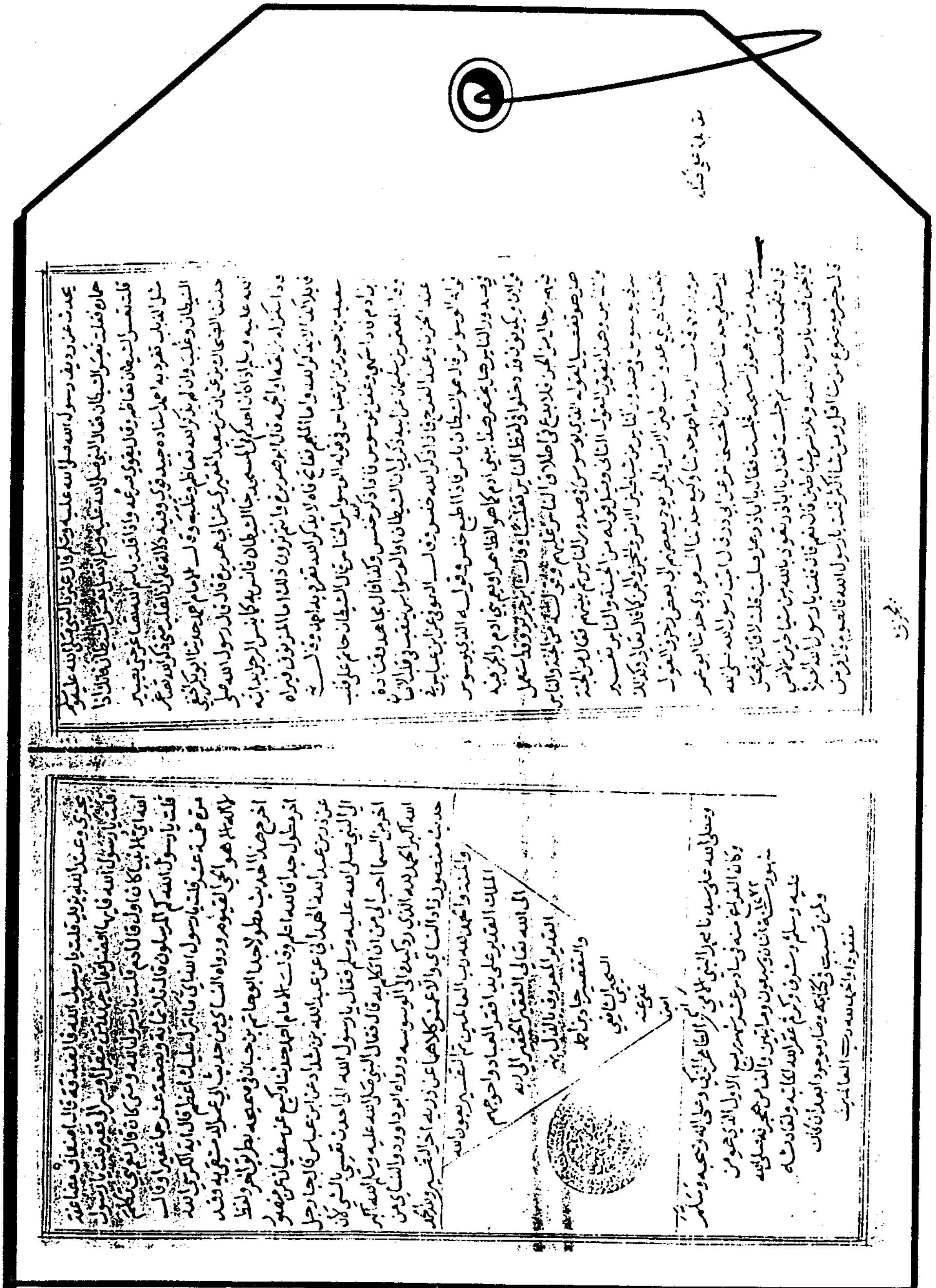

اللوحة الأخيرة من الجزء السابع من نسخة دار الكتب المصرية